موافقات ومفارقات العلامة محمد كامل بن مصطفى للإمام البيضاوي في تعليقاته المسماة: مجموعة العبد الذليل على ربع أنوار التنزيل. من سورة "يس" إلى "الصافات".

Points of Agreement and Divergence between the Scholar Muhammad Kamil ibn Mustafa and Imam al-Baydawi in His Commentary Entitled Majmuʿat al-ʿAbd al-Dhalil ʿala Rubʿ Anwar al-Tanzil.

"From Surah Ya-Sin to Surah As-Saffat".

✍اسم ولقب المؤلف: أسامة عبد القادر مصطفى التركى
الدرجة العلمية والوظيفة: مساعد محاضر، عضو هيئة التدريس في إدارة الشؤون البحثية بمركز البحوث والدراسات الإسلامية/ البيضاء.
البريد الإلكتروني: poldsa914@gmail.com
تاريخ استقبال البحث: 2026/05/12م، تاريخ القبول: 2026/07/27م

المستخلص:
تناول البحث استخراج خمسة عشر اجتهاداً للعلامة محمد كامل بن مصطفى، تعقّب فيها تفسير البيضاوي من سورة "يس" إلى "الصافات"، مبرزاً أمانته العلمية، ودقته المتناهية في نقل أقوال العلماء وتوضيحها. كما كشفت الدراسة عن شخصية الشيخ النقدية القوية وموسوعيته في الرد على كبار الأعلام في مختلف الفنون الشرعية واللغوية، وبراعته الفذة في دمج الآراء وسوقها بسلاسة، وخلص البحث بتوصيات عامة وخاصة تشير إلى أهمية إبراز مثل هذه الشخصيات العلمية المشرقة من علماء ليبيا الأجلاء، وضرورة الاهتمام بهم، وبتراثهم، والعمل على إحيائه، والاستفادة منه.
الكلمات المفتاحية: موافقات ومفارقات، محمد كامل، تعليقات.

Abstract
The research dealt with extracting fifteen reasoning (Ijtihad) of the scholar Muhammad Kamil bin Mustafa, in which he tracked Al-Baydawi's interpretation (Tafsir) from Surah "Ya-Sin" to "As-Saffat", highlighting his scientific honesty and his extreme accuracy in transmitting and clarifying the sayings of scholars. The study also revealed the Sheikh's strong critical personality and his encyclopedic knowledge in responding to major figures in various Islamic legal (Sharia) and linguistic sciences, and his unique ingenuity in merging opinions and presenting them smoothly. The research concluded with general and specific recommendations pointing to the importance of highlighting such bright scientific figures of

Libya's venerable scholars, and the necessity of paying attention to them, their heritage, and working on reviving it and benefiting from it.

Keywords: Agreements and Paradoxes, Muhammad Kamil, Comments

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد: فلاشك أنه مهما تكلم المتكلمون، وتحدث المتحدثون، وكتب المفسرون حول ما يخطر لهم من تفسير وبيان لآيات الله -عز وجل-، فستبقى كلماتهم ناقصة، وأحاديثهم قاصرة، وأقلامهم عاجزة عن استيفاء المعنى التام من مراد الله-تعالى-، فإن وفقوا إلى شيء من تجليات تجلي معاني الآيات، فإن ذلك لا يتعدى كونه غالب ظن نتج حسب طاقاتهم البشرية، فكلام الله-تعالى- قديم لا تنفد معانيه، ولا تحصى دلائله، ولا تنتهي عجائبه، ولا تتوقف علومه وحكمه، فهو باق لا يفنيه شيء، عظيم لا يحصيه أحد، فإن ربنا- سبحانه- هو كما يقول، وفوق ما نقول، ومن هنا نرى دائما تفاوتا بين علماء التفسير، وتنوعا في معاني التأويل، واختلافا في منهجية المفسرين، فلا يكتب مفسر شيئا حتى يعقبه مفسر آخر، إما أن يوثق كلامه، أو يزيد عليه، أو يهذبه، أو يخالفه، قال تعالى: {وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ}[يوسف:76]، فالآية تشير إلى أن هناك دائما من هو أعلم من العالم، حتى ينتهي العلم إلى الله، وهذا المعنى ملاحظ من خلال تنوع التفاسير، وشروحها، وكثرة الحواشي والتعليقات عليها، لذلك اخترت بحثا أثبت فيه هذه الخاطرة، وأبين فيه هذه الظاهرة، فعنوان بحثي: (موافقات ومفارقات الإمام محمد كامل بن مصطفى للإمام البيضاوي في حاشيته المسماة: بـ مجموعة العبد الذليل على ربع أنوار التنزيل) تناولت فيه مجهوداته التي انفرد بها عن البيضاوي، من خلال تعليقاته على الربع الأخير من تفسير الإمام البيضاوي . والله ولي التوفيق.

أهمية البحث:

يستمد هذا البحث أهميته من أهمية موضوعه، وهو علم التفسير، لما له من دور في بيان معاني القرآن الكريم من حيث دلالتها على مراد الله- عز وجل، فبفهم القرآن الكريم فهما سليماً يدعو الإنسان إلى تدبر آياته، وتطبيق أحكامه، والعمل بما جاء فيه، كما لهذا البحث أهمية من حيث إن فيه اهتماما وتركيزا على الجهود الليبية في خدمة القرآن الكريم، في ناحية من نواحيه قل الخوض فيها، وهي التعليقات على التفاسير، فهذا البحث يتناول مجهودات لعالم جليل ومميز، اهتم بعلم التفسير، وبكتب التفسير، ومن مجهوداته تعليقه على تفسير البيضاوي، ذاك التفسير الذي كان ولا يزال قبلة لطلبة العلم والدارسين، فالعلامة محمد كامل له مع البيضاوي في تفسيره صولات وجولات، سوف نتعرف عليها في مكانها من هذا البحث، ونتعرف أيضا ونستجلي مدى أهمية هذه الحاشية من بين الحواشي التي ألفت على تفسير البيضاوي، ولعله طرح فريد أن يسلط الباحث الضوء على جانب من جوانب المُتَرْجَم له، وهو استخلاص أهم ما انفرد به عن المُحَشَّى له من موافقات ومفارقات.

أهداف البحث:

1-خدمة القرآن الكريم من خلال تسليط الضوء على اجتهادات الشيخ محمد كامل الخاصة في تعليقاته على الربع الأخير من تفسير البيضاوي.

2-إبراز الجهود الليبية في علم التفسير، والكشف عن مزيد من جوانب حياتهم العلمية والعملية.

3-استخلاص أهم ما انفرد به محمد كامل عن البيضاوي من خلال تعليقاته على الربع الأخير من تفسير البيضاوي.

4-ذكر أمثلة تطبيقية من حياة العلماء المجتهدين، وبيان قدرتهم على مجاراة غيرهم من العلماء المحققين.

أسباب اختيار الموضوع:

1-أهمية علم التفسير وحواشيه وتعليقاته.

2-استكمالا لعنوان بدأته في بحث سابق، يتعلق بالحواشي التفسيرية.

3-جانبا من خدمتي لبلدي، بالإشهار والإعلام عن أعلامها وعلمائها الموقرين.

4-إضافة لمعلومات ومعارف تفسيرية قد تخدم المكتبة القرآنية.

الدراسات السابقة:

بعد البحث تبين لي أن هناك شخصية علمية قامت بتحقيق هذه التعليقات المسماة بـ "مجموعة العبد الذليل على ربع أنوار التنزيل" وهو الأستاذ عبد الدائم محمد الباجقني، الذي قام بتحقيقها وتنقيحها ونشرها، إلا أنه لم يركز على جانب الموافقات والمفارقات للعلامة محمد كامل على تفسير البيضاوي، فكان ذلك حظي في هذه البحث.

منهج البحث:

سلكت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التام، وذلك بالبحث عن كل ما وافق، أو فارق فيه محمد كامل في تعليقاته على تفسير البيضاوي، وجمعها، وجعلها سبيلا للوصول إلى تحقيق فكرة عنوان البحث، إضافة إلى المنهج الوصفي التحليلي، والذي من خلاله قمت بوصف فكرة البحث بشكل عام، وجمعت ما يلزم له، بعد دراسته ومناقشته، كما استعملت المنهج التاريخي كأداة للتعرف على شخصية محمد كامل، وزمنه الذي عاش فيه، ومدى صحة ونسبة هذا المؤلف له، وزمن كتابته، ومعرفة ما إذا كان قد ألف غير هذا التأليف، وغير ذلك من الأشياء التي تتعلق بالعلامة محمد كامل بن مصطفى.

حدود الدراسة:

لهذه الدراسة حدود يجمعها عنوان هذا البحث: [موافقات ومفارقات الإمام محمد كامل بن مصطفى للإمام البيضاوي في تعليقاته المسماة: "مجموعة العبد الذليل على ربع أنوار التنزيل]، التي جمعت ما بين كلام البيضاوي، وأصحاب الحواشي عليه، وأقوال بعض المفسرين، ولا شك أن السؤال يطرح نفسه في هذا العنوان، أي موافقات أو مفارقات لمحمد كامل في تعليقاته على الربع الأخير من تفسير البيضاوي، وبالتحديد سورة يس وسورة الصافات؟، والجواب: هي الجوانب التي وافق فيها العلامة محمد كامل القاضي البيضاويَّ في اختياراته التفسيرية؛ أو خالفه فيها، سواء كانت هذه الاجتهادات لابن مصطفى في كلام البيضاوي، أو في كلام أصحاب الحواشي على تفسير البيضاوي، والتعليق

عليها، وتحليلها، وذكر أسباب المفارقة والاختلاف، أو أدلة الموافقة، وعلى أي شيء كان اعتماد الشيخ محمد كامل واستناده.

خطة البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة:

مقدمة:

المبحث الأول: العلامة محمد كامل بن مصطفى، حياته واجتهاداته العلمية، وفيه مطالب:

المطلب الأول: السيرة الذاتية الموجزة للعلامة محمد كامل.

المطلب الثاني: آثاره العلمية والقلمية.

المطلب الثالث: عصر العلامة محمد كامل.

المبحث الثاني: جهود العلامة محمد كامل في علم التفسير.

المطلب الأول: نبذة عن كتابه: مجموعة العبد الذليل على ربع أنوار التنزيل.

المطلب الثاني: التعريف بتفسير القاضي البيضاوي.

المبحث الثالث: اجتهادات محمد كامل في تعليقاته على تفسير البيضاوي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اجتهاداته في سورة يس.

المطلب الثاني: اجتهاداته في سورة الصافات.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها، وبعض التوصيات الخاصة والعامة.

.....

المبحث الأول: العلامة محمد كامل بن مصطفى، حياته واجتهاداته العلمية، وفيه مطالب:

المطلب الأول: سيرته الذاتية:

اسمه: محمد كامل بن مصطفى بن محمود بن يوسف بن سليمان الطرابلسي الحنفي، ثم المالكي[1]، الفقيه العالم الفاضل النحرير المنعم الأديب المفسر الأشعري[2]،

---

(1) أضاف الباحث هذا الوصف للشيخ محمد كامل بن مصطفى بناء على أمرين، الأول: وهو ما تحصل عليه الشيخ من إجازات علمية خاصة وعامة من شيوخ الأزهر، وشيوخ المغرب، وأغلب هؤلاء العلماء كانوا يقرؤون المذهب المالكي، ويفتون به، خصوصا العلامة الفقيه محمد عليش، وهو أبرز شيوخه، ومن علماء الأزهر، وأصله من طرابلس الغرب، المتوفى سنة: 1299هـ، ومن كبار الفقهاء المالكية، وله كتاب اسمه: (فتاوى عليش)، وقد أجاز محمد كامل كل مروياته وأسانيده، وذكر الدكتور محمد مسعود جبران في كتابه: (محمد كامل بن مصطفى وأثره الفكري في ليبيا)، في الصفحة: (59)، أن محمد كامل كان كثيرا ما يستشهد بفتاويه ويعول عليها، ويورد آراءه وتحقيقاته واجتهاداته، ويستأنس بها، وأما الأمر الثاني: وهو إفصاح الشيخ عن نفسه في كتابه الفتاوى الكاملية صحيفة رقم: (2)، بأنه أول ما بدأ بتحصيل العلم في جامع الأزهر اشتغل بمذهب الإمام مالك، وبكُتُب المذهب، حتى أنه عدد الكثير منها.

(2) من جملة ما قال الشيخ في مقدمة كتابه (الفتاوى الكاملية) معرفا بنفسه، "الحنفي الأشعري"، وقد كان من المألوف أن المتمذهب بالمذهب الحنفي يكون قد اتبع المدرسة الماتريدية في الأصول، وليس الأشعرية، ولو أن منهم أشعرية، ولكن على قلة، حتى قيل: من المستظرف أن يكون حنفي أشعريًا. "قال ابن الجوزي: وهذا من الغريب" نقله عنه ابن كثير في البداية والنهاية: (133/12). ومن العلماء من كان حنفيا

الشاذلي[1]، شيخ ليبيا في زمانه ومفتيها[2]. و(محمد كامل) اسم علم مركب، وقد ذكر الشيخ اسمه مفردا "محمد بن مصطفى بن محمود"، من غير تركيب في بداية كتابه "مجموعة العبد الذليل على ربع أنوار التنزيل"، والذي نحن بصدد الحديث عن بعض جوانبه، كما ذكر المترجم له اسمه مركبا، بقوله في مقدمة كتابه الفتاوى الكاملية[3]: "فيقول العبد الفقير محمد كامل ابن مصطفى ابن محمود الطرابلسي"[4]، وهو اسمه الذي اشتهر به.

ولادته ونشأته: ولد الشيخ محمد كامل سنة ألف ومائتين وأربع وأربعين للهجرة، في مدينة الزاوية إحدى مدن ليبيا المطلة على الساحل الليبي غرب العاصمة طرابلس، وتبعد عنها مسافة خمس وأربعين ميلا، حيث نشأ فيها وتعلم بين أحضان عائلة عريقة تحب العلم وأهله، وهي عائلة: ابن محمود، حيث قامت هذه العائلة على رعاية الشيخ رعاية خاصة، فحفظ القرآن الكريم بين أعينهم،

(ولما بلغ من العمر ست عشرة سنة، أرسلوه إلى طرابلس بقصد التعلم من شيوخها وعلمائها، فكان الشيخ يتردد على مدرسة أحمد باشا، وجامع الناقة، وجامع المغاربة قرابة الثلاثة أعوام، يتدرج من علم إلى علم، وينطلق من فن إلى فن على أيدي علماء الوطن)[5] كما وصفهم هو، وظل الشيخ يطلب العلم، ويستقي العلوم والفنون إلى أن قررت أسرته إرساله إلى الجامع الأزهر بمصر القاهرة؛ لتحصيل المذهب الحنفي، ونشره في طرابلس

أشعريا، كالعلامة أبي جعفر محمد بن محمد بن أحمد السمناني، قاضي الموصل، وتلميذ الباقلاني، المتوفى سنة: 444هـ بالموصل. انظر: سير أعلام النبلاء (651/17)، والعلامة عبد الخالق بن أبي بكر المزجاجي الزبيدي الحنفي الأشعري اليمني المقري، المتوفي سنة: 1181هـ. انظر: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار (337/1)، والمفسر عبد القادر بن ملّا حويش السيد محمود آل غازي العاني، المتوفى سنة: 1398هـ، من أهل العراق، وصاحب كتاب: بيان المعاني، وهو حنفي أشعري أيضا. انظر: التفسير والمفسرون أساسه واتجاهاته في العصر الحديث (3/ 250). وهذا يضعنا في سؤال، وهو: هل هناك علاقة بين المذاهب الفقهية والمذاهب الكلامية؟، أم أن الأمر لا يعدو كونه علاقات جغرافية، وتاريخية وعوامل سياسية؟، والذي يراه الباحث أن العامل الجغرافي والسياسي، لهما علاقة بهذا الارتباط، فالشيخ جاء في عهد الدولة العثمانية، وهي التي أصبح عندها المذهب الماتريدي هو المذهب الرسمي للدولة في الأصول، والمذهب الحنفي في الفروع، وكان هذا الحال في طرابلس الغرب، غير أن الشيخ ربما تأثر بالجغرافيا المصرية التي انتشر فيها المذهب المالكي والشافعي والمدرسة الأشعرية أثناء تلقيه العلم في الأزهر؛ إلا أنه بقي حنفيا تلبية لرغبة أبيه وأسرته الذين أرسلوه إلى مصر؛ لتمكين المذهب الحنفي في طرابلس الذي كاد أن يندثر.

(1) وصف الشيخ نفسه بأنه شاذلي في مقدمة كتابه (الفتاوى الكاملية)، هذا يعني أنه صوفي المشرب، فالشيخ يفتخر بهذا الوصف، لكونه من أوصاف الكمال والتوثيق عند العلماء قديما، وليس كما يراه البعض في زماننا هذا.

(2)ينظر الاسم مع الأوصاف والألقاب من المصادر الآتية: الفتاوى الكاملية، ص (1)، رحلة الحشائي إلى ليبيا، ص (67)، أعلام من طرابلس، ص (175)، معجم المؤلفين: (170/11)، والأعلام: (234/7).

(3) طبع هذا الكتاب سنة: 1895م، وهو عبارة عن فتاوى على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان -رحمه الله -وهي فتاوى جامعة لمسائل الشريعة المعتبرة، التي لا يستغني عنها من ابتلي بالقضاء والفتوى، كتاب قل لفظه، وجزل معناه، وسهل تناوله على كل من تلقاه.

(4) انظر: الفتاوى الكاملية، ص(2)

(5) انظر: الفتاوى الكاملية، ص (1)، وأعلام من طرابلس ص: (176).

الغرب بعد العودة إليها، وكان ذلك في سنة ألف ومائتين وثلاث وستين للهجرة، وكان عمره آن ذاك تسع عشرة سنة. يقول الشيخ: "لما وصلت الجامع الأزهر والمسجد الأنور -لا زال إن شاء الله تعالى بأنوار العلم معموراً- اشتغلت بتحصيل العلوم المتنوعة، منها مذهب سيدنا الأمام مالك -رحمه الله تعالى-..."[1].

(فتعمق الشيخ في دراسة الفقه المالكي إلى جانب الفقه الحنفي، وبعد مرور سبع سنوات من التعليم والتحصيل عاد الشيخ إلى طرابلس الغرب، حيث تولى مهمة التدريس في مدرسة عثمان باشا، وتعهد الدعوة والإفتاء في المساجد، وبقي على هذا الحال مدة ثمان وثلاثين سنة لا يمل ولا يكل، كما أشار هو في كتابه الفتاوى الكاملية، وفي آخر عمره اتجه نحو التأليف والتصنيف، واستمر الشيخ على هذا الحال إلى أن توفاه الله –تعالى)[2].

شيوخه: لابد لهذا الهمام من عيون لاحظته، ومن أياد ربته، ومن عقول علمته قبل وصوله إلى مرحلة الشباب والنضوج والسفر إلى مصر، تقول كتب التراجم أنه حفظ القرآن في مدينة الزاوية مسقط رأسه، وعندما وصل من العمر ستة عشر سنة ذهب إلى مدينة طرابلس، ودرس على علماء الوطن كما أشار في كتابه الفتاوى الكاملية، فمن هم الذين تعلم على أيديهم قبل مضيه إلى طرابلس؟، ومن هم علماء الوطن الذين تتلمذ على أيديهم في طرابلس؟ سيكون الحديث عن ذلك في ثلاث مراحل.

المرحلة الأولى في مدينته مسقط رأسه: ومحل ولادته مدينة الزاوية، فقد أشار الشيخ بأنه قد حفظ القرآن فيها[3]، ولم يشر بأنه قد تعلم في مدينته شيئا من فنون الشريعة، ويبدو أن الشيخ قد حفظ القرآن الكريم في زاوية الأبشات[4] التي أسسها الشيخ محمد بن شعيب من قبيلة الأبشات سنة: 1215هـ، وذلك لقربها من قبيلة أولاد زميرلو[5] التي ينسب

---

(1) انظر: الفتاوى الكاملية، ص (1).

(2) ما ذكرته بين القوسين عبارة عن استنتاج لما تفضل به فضيلته في كتابه الفتاوى الكاملية، ص: (2)، بالإضافة
إلى ما ذكره المصراتي في كتابه أعلام من طرابلس، ص: (178-179).

(3) انظر: الفتاوى الكاملية، ص (2).

(4) زاوية محمد بن شعيب في مدينة الزاوية، المشهورة باسم زاوية الأبشات، يعود تاريخها إلى حوالي سنة 1801م، حسب ما ذكر الشيخ الطاهر الزاوي الذي يقول: "أسسها الحاج بن شعيب سنة 1215هـ، وأسس بها مسجدا تقام فيه صلاة الجمعة، وعليه قبة كبيرة، يقال لها زاوية لأبشات؛ لأنها أسست في هذه القرية .. وأشهر من تولى فيها تحفيظ القرآن الكريم لأبناء المسلمين الشيخ عبد الرحمن ابن عز الدين في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، وكان من العباد المشهورين بالتقوى والصلاح". نقلت هذا التفاصيل من كتاب: الشيخ محمد كامل بن مصطفى وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا، لمحمد مسعود جبران، ص: (44).

(5) ذكر ذلك الأستاذ محمد مسعود جبران في كتابه: الشيخ محمد كامل بن مصطفى وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا، في الصحيفة رقم: (46)، وقال إنه كان يبحث عن أصل هذه الأسرة، فدله أحد أعيان مدينة الزاوية، وهو من شيوخها، والعارفين بها، وبقبائلها (الشيخ يوسف شقليلة)، وقال: أن عائلة الشيخ محمد كامل تعود إلى أولاد زميرلو بالزاوية، وهي قبيلة معروفة بهذا الاسم، ويبدو أن هذه العائلة من أصول تركية، كما أشار إلى ذلك الكاتب الإيطالي: هنريكو دي أغسطيني في كتابه: سكان ليبيا، ترجمة خليفة محمد التليسي، ص (388)، حيث أشار إلى أن أولاد زميرلو فرع من قبائل قولو غلية الوسط، أو أولاد الأعوز، ، كما يرى الباحث أن هذا الاسم المركب، (محمد كامل)، علامة على الأصل التركي، ولكنه ليس دليلا؛ بل هو من باب الاجتهاد؛ لأن الأسماء المركبة لم تكن من عادات وأعراف أهل ليبيا، كما يرى الباحث

إليها محمد كامل، ولأن تأسيسها سابق لتاريخ ميلاد العلامة محمد كامل، هذا أمر، والأمر الآخر أن الشيخ لم يذكر لنا أنه تعلم شيئا من علوم الدين في صباه، ولكن المنطق والعقل يقولان: إن الشيخ ربما يكون قد تحصل على بعض الفنون في صباه من أقرب الأماكن التعليمية لديه، أو من أحد الناس المتعلمين من عائلته، سيما وأنه من عائلة بني محمود المشهورة بالعلماء والصالحين، ولدى الشيخ شخص من أقاربه موصوف بالعلم، وهو أحد أعمامه العلامة عبد القادر بن محمود، فقد جاء في كناش الشيخ محمد كامل، أن الشيخ عبد القادر بن محمود هو أحد أفراد أسرته، وكان من جملة شيوخه[1].

المرحلة الثانية بعد سفره إلى طرابلس: وبعد أن بلغ الشيخ ستة عشر عاما من عمره رحل إلى مدينة طرابلس ليكمل مسيرته العلمية، وليتصل بمن كان فيها من الشيوخ والعلماء، لكن يبدوا أن الإشكال واقع أيضا في رحلة الشيخ محمد كامل إلى طرابلس، فعند قراءة كتب تراجم الرجال الخاصة بعلماء ليبيا، والنظر في سيرة العلامة محمد كامل، نجدها لم تذكر لنا أسماء العلماء الذين تتلمذ على أيديهم في تلك المرحلة، وهي الواقعة ما بين سنة: 1259هـ إلى سنة: 1263هـ تقريبا، وهي فترة ما قبل سفره إلى مصر، لكن مع البحث والتنقيب توصلنا إلى بعض أسماء لعلماء معاصرين لتلك المرحلة في مدينة طرابلس، (والذين وردت أسماؤهم بأنهم كانوا شيوخا لأقرانه من العلماء في تلك الفترة، كالعلامة محمد بن على بن موسى[2]، الذي أخذ العلم عن والده على بن موسى، وأخذ الفقه عن الشيخ محمد الريفي المغربي، كذلك من أقرانه الشيخ محمد بن محمد قاجة[3]، الذي تعلم على يد والده الشيخ محمد قاجة، وتفقه على يد الشيخ أحمد بن محمد النعاس، فنتوقع أن الشيخ محمد كامل قد التقى بهؤلاء العلماء هو أيضا، وتتلمذ على أيديهم، وتعلم منهم، وتفقه عليهم، فالعلامة محمد القاجة، والشيخ علي بن موسى، والشيخ محمد الريفي المغربي، والشيخ أحمد محمد النعاس هؤلاء العلماء الأربعة -كما أشرت - من علماء تلك

أيضا أن هناك علامة أخرى تؤيد نسبة هذه العائلة إلى الأصول التركية، وهو تمسك أسرته بتعليم ابنهم الفقه الحنفي، وهو المذهب السائد والمشهور في تركيا، أو الدولة العثمانية.

(1) لم نقف على ترجمته، وذكره الشيخ محمد كامل في كناشه، أو مجموعه. انظر: كناش الشيخ محمد كامل، أو ما يسميه: بـ (المجموع) ورقة رقم: (10)، وهذا الكناش عبارة عن مجموعة من أقوال وآثار وذكريات للشيخ محمد كامل، وهو لايزال مخطوطا، وأشار إلى ذلك أيضا الأستاذ محمد جبران في كتابه: محمد كامل بن مصطفى وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا، ص (45).

(2) محمد بن علي بن موسى الفقيه المالكي، ولد في طرابلس الغرب، ونشأ فيها وحفظ القرآن، وتعلم العلوم الدينية على والده، وكذلك لزم الشيخ محمد الريفي المغربي نزيل طرابلس، توفي في المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، سنة: 1303هـ انظر: دليل المؤلفين العرب الليبيين (402).

(3) محمد بن محمد قاجة، المفسر الفقيه الصوفي الأديب، أصله من مسلاته، قرأ بمدرسة تاجورة، وتفقه على الشيخ أحمد بن محمد النعاس، وعلى غيره من علماء عصره، تحصل على العلوم الأصولية والفرعية، من تصانيفه: أكسير الأحاجي المستطرف في تفسير سورة الزخرف، وغيره من التصانيف النافعة، توفي سنة: 1283هـ انظر: دليل المؤلفين العرب الليبيين (424).

الفترة، وقد عاصروا زمن طلبه للعلم في طرابلس، وهم على الغالب ربما يكونوا من شيوخه الذين أخذ عنهم في تلك الفترة)[1].

يأتي الآن الحديث عن **المرحلة الثالثة**، وهي مرحلة التقائه بشيوخ الأزهر، فقد رحل الشيخ إلى مصر حيث الأزهر الشريف، طلبا للعلم، وتحصيلا للمعرفة، فالتقى برجاله وعلمائه، وظل ينهل من معين العلم سبع سنوات متواصلات، لا يكل ولا يمل، طلبا للعلوم الشرعية والعربية، فتحصل خلال هذه الفترة على علوم شتى، من فقه وعقيدة ولغة للعربية، وقد جالس الشيخ - رحمه الله- خلال هذه الفترة كبار علماء الأزهر في ذلك الوقت، منهم: الشيخ أحمد عبد الرحيم الطهطاوي[2]، والذي يعتبر من أكثر الشخصيات تأثيرا في الشيخ محمد كامل، حيث وصفه بأنه: "أحبهم إليّ، وأخصهم عندي"[3]، كما أخذ عن الشيخ محمد عليش[4]، وهو أحد كبار فقهاء المالكية، وأخذ عن الشيخ خير الدين الرملي[5]، وقد أشار إليه الشيخ محمد كامل بن مصطفى في مواضع كثيرة من كتابه: (الفتاوى الكاملية)، فتارة يقول: قال: شيخنا الرملي -حفظه الله-[6] وتارة ينعته بالمحقق[7]. كما أن الشيخ محمد كامل أخذ عن الشيخ حسن العِدْوي[8]،والشيخ إبراهيم

(1) ذكر ذلك الأستاذ محمد مسعود جبران في كتابه: محمد كامل بن مصطفى وآثاره في الحياة الفكرية، ص(54).

(2) أحمد بن عبد الرحيم الطهطاوي العلامة الفاضل، من أهل طهطا بمصر، ولد بها سنة: 1233 هـ، تعلم بالأزهر واحترف التعليم وانتقل إلى تحرير جريدة الوقائع المصرية إلى أن توفي بالقاهرة. من مهامه أنه كان كاتبا في محكمة طهطا، وله شعر، مات سنة: 1302هـ، من تصانيفه: ديوان في المدائح النبوية، ورسالة في العروض والقوافي، وله نهاية القصد والتوسل في فهم مقولة: الدور والتسلسل في علم الكلام. انظر: الاعلام للزركلي (149/1).

(3) انظر: الفتاوى الكاملية (3).

(4) محمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله، فقيه، من أعيان المالكية. مغربي الأصل، من أهل طرابلس الغرب. ولد بالقاهرة سنة: 1217هـ، وتعلم في الأزهر، وولي مشيخة المالكية فيه. ولما كانت ثورة عرابي باشا، اتهم بموالاتها، فأخذ من داره، وهو مريض، محمولا لا حراك به، وألقي في سجن المستشفى، فتوفي فيه سنة: 1299هـ، بالقاهرة. من تصانيفه: فتح العلي المالك في الفتوى على مذهب الإمام مالك، وهو مجموع فتاويه، وله: مؤلفات في شتى المجالات. انظر: الاعلام للزركلي (20/6).

(5) لم أجد ترجمة له، على الرغم من أنه قد ثبت التقاؤه بالشيخ محمد كامل -رحمه الله-وكان أحد شيوخه.

(6) انظر: الفتاوي الكاملية (287)، وفي هذا الموضع يقول الشيخ محمد كامل عن الرملي: "حفظه الله"، دلالة على بقاء الشيخ الرملي على قيد الحياة أثناء تصنيف الفتاوى، وهناك في موضع آخر يقول الشيخ عن الرملي: "رحمه الله"، كما في الصحيفة: (207)، وهي إشارة إلى موته زمن تأليف الفتاوى، ولا أدري أي الخبرين أصح، كما لا يوجد ما يشير إلى ذلك في كتب التراجم؛ لعدم وجود ترجمة للرملي.

(7) المصدر السابق (207).

(8) حسن العِدْوي الحمزاوي، فقيه مالكي، من قرية (عِدْوة) بمصر، ولد سنة: 1221هـ، تعلم بالأزهر ودرَّس فيه. توفي بالقاهرة سنة: 1303هـ من تصانيفه: (النور الساري من فيض صحيح البخاري)، و(تبصرة القضاة والإخوان في حكم وضع اليد)، و(النفحات الشاذلية في شرح البردة)، وغير ذلك من التصانيف. انظر: الأعلام للزركلي (199/2).

الباجوري[1] زمن مكوثه بمصر، وقد منحه شيوخه الأزهريون الإجازة والمناولة[2]، كما أجازه بعض علماء المغاربة مروياتهم وعلومهم[3]، كما أشار إلى ذلك الشيخ محمد كامل في كناشه، فقال: "الشيخ عبد الله السني، والشيخ محمد الطاهر الغدامسي، والشيخ أبو القاسم العيساوي، ومنهم أيضا الشيخ التونسي أحمد بن الخوجة[4]، أيضًا الشيخ إبراهيم التوزري، والشيخ المختار شويخه"[5]، كما للشيخ محمد كامل-رحمه الله- شيوخ آخرون لم يسمح المقام بذكرهم جميعا، ومن أراد الاستزادة فليرجع إلى كتاب: (الشيخ محمد كامل بن مصطفى، وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا)[6] فرحم الله الجميع، حيث كان لهؤلاء العلماء الأثر الطيب في شخصية محمد كامل، إذ تأثر بأخلاقهم وتهذيبهم وسلوكهم ومنهجيتهم، فكان يتسم بروح التسامح، وقبول الآخر، ويوازن بين العلوم المختلفة، متفهما أهمية الوسطية، واحترام المذاهب الفقهية، والمدارس العقائدية الأخرى، فعلى الرغم من كونه حنفيًا إلا أنه لم يظهر أي صدام مع المذاهب الأخرى، بل سعى للتعايش الفكري والديني مع كل الأطياف والشخوص.

تلاميذه: من السنن التي أجراها الله على عباده تعلق الذوات والقلوب ببعضها البعض، لاسيما عندما يكون هناك عطاء وسخاء، فلابد أن يكون هناك من يلحقه، ويهتم به، فكيف إذا كان هذا العطاء يتعلق بالدين والعلم والشريعة، فالشيخ محمد كامل-رحمه الله- بعد عودته من مصر، صار علما ينظر له، ويشار إليه بالبنان، فكان شعلة يستضاء بها، ومنارة يهتدى إليها، وكان سبيلا لأنواع من العلوم والمعارف، فاجتمع من حوله التلاميذ، وازدحم على بابه الطلاب، وانكبوا عليه من كل الأماكن، يحضرون مجالسه، وينهلون من علومه، ويستفيدون من خبرته، وقد كانت أعدادهم كبيرة، فتعلموا منه حتى أصبحوا بعد

(1) إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري المصري الشافعي ولد سنة: 1198هـ، له تصانيف عديدة، منها: (التحفة الخيرية على الفوائد الشنشورية)، و(تحفة المريد على جوهرة التوحيد)، و(حاشية على أم البراهين للسنوسي)، و(حاشية على البردة الشريفة)، والكثير من التصانيف. توفي سنة: 1276هـ انظر: هدية العارفين (41/1)، والأعلام للزركلي (71/1).

(2) انظر: الشيخ محمد كامل بن مصطفى وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا، ص(65)، وأما الإجازة والمناولة، فهما نوعان من أنواع التحمل على شيوخ الحديث والمرويات. انظر: الإلماع إلى معرفة أصول الرواية (3/79).

(3) المصدر السابق، ص (75).

(4) أحمد بن محمد بن الخوجة، أبو العباس، العلامة، من شيوخ تونس وعلمائها. ولد سنة: 1245هـ، ومات سنة: 1313هـ، وكان مولده ووفاته في تونس. ولي قضاء الحنفية، ثم الفتوى، ثم مشيخة الإسلام، من تصانيفه: (كشف اللثام عن محاسن الإسلام)، وعدة رسائل في موضوعات مختلفة. انظر: الأعلام للزركلي (248/1).

(5) هذه المجموعة من العلماء المغاربة، ذكرها الشيخ محمد كامل في كناشه، أو ما يسمى: بـ (المجموع)، مخطوط، في الورقة رقم: (62)، نقل هذا الكلام أيضا محمد مسعود جبران في كتابه: محمد كامل بن مصطفى وآثاره في الحياة الفكرية، ص (76)، كما أنوه على أني بحثت عن ترجمة هؤلاء الأعلام، فلم أقف عليها.

(6) مؤلفه الأستاذ محمد مسعود جبران، وهو من منشورات جمعية الدعوة الإسلامية، طبع مرتان.

ذلك علماء البلاد، وكان لهم دور بارز ومهم في استمرار، وانتقال العلوم الإسلامية وانتشارها بليبيا، فمن هؤلاء العلماء الذين تتلمذوا عليه: محمد الضاوي الصاري[1]، وإبراهيم باكير[2]، المفتي العام لمدينة طرابلس وما حولها من مدن، والعلامة أحمد الشارف[3]، كما تتلمذ عليه أيضا عبد الرحمن البوصيري[4]، ومصطفى بن زكري[5]، وغيرهم الكثير من طلبة العلم، والتلاميذ النجباء الذين يفوق عددهم العشرات، وقد كان لهم الأثر الطيب على ليبيا وبلاد المسلمين بعد وفاة الشيخ محمد كامل بن مصطفى-رحمه الله.

(1) محمد الضاوي الصاري الطرابلسي، ابن يوسف بن محمود بن عثمان، كان كثير العبادة والتهجد، معرضا عن اللغو واللهو، من مؤلفاته: (شفاء الصادي المجرب لمن أراد التقرب)، الذي قرضه شيخه: محمد كامل، وله مدائح= =في حب النبي -صلى الله عليه وسلم، ونصائح للطالب والتلميذ معروفة ومشهور، توفي سنة: 1330هـ في طرابلس ودفن في مقبرة سيدي منيدر. انظر: دليل المؤلفين العرب الليبيين، ص (364).

(2) إبراهيم بن مصطفى بن إبراهيم بن مصطفى بن محمد بن أبي باكير، فقيه حنفي، وأديب وشاعر، تولى إفتاء طرابلس، وحاكما بالمحكمة العليا بطرابلس، له عدد من المصنفات منها: (فتاوى على المذهب الحنفي)، و(رسالة في علم البيان)، لازم شيخه محمد كامل ما يقرب عن عشرين عاما أفاد من علمه وسمته، توفي سنة: 1362هـ. انظر: الأعلام للزركلي (33/1)، ودليل المؤلفين العرب الليبيين، ص (12).

(3) أحمد بن علي الشارف، ولد سنة: 1281هـ بمدينة زليطن، حيث بدأ دراسته في مدينة زليطن مسقط رأسه، تعلم في زاوية الشيخ عبد السلام الأسمر، ثم انتقل إلى المعهد الأسمري، وسافر إلى طرابلس، والتقى بالشيخ محمد كامل، وأخذ عنه. ولي القضاء بتاورغاء، وتولى وظيفة كاتب أول لمفتي غريان، وكان يلقب بشيخ الشعراء، أو شاعر القطرين طرابلس وبرقة، توفي سنة: 1379هـ. انظر: الأعلام للزركلي (134/1)، ودليل المؤلفين العرب الليبيين، ص (58).

(4) عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الأخضري البوصيري، أشهر تلاميذ الشيخ محمد كامل، فقيه وأديب ليبي. ولد في غدامس سنة: 1258هـ، وتعلم فيها، ثم في طرابلس. زار تونس ومصر والأستانة للتجارة. لازم شيخه محمد كامل في الدروس ومراجعة الفتاوي، وكان محبا لاقتناء الكتب. عكف على التدريس في مساجد طرابلس، فتخرج على يده الكثير. تولى سجلات العقود، ورئاسة كتبة المحكمة الشرعية، والقضاء، من مؤلفاته: (الدرر المجنية على الجامع الصغير للسيوطي)، وغيرها من المؤلفات. توفي سنة: 1354هـ. انظر: الأعلام للزركلي، ص (334/3)، وأعلام ليبيا، ص (213-214).

(5) مصطفى بن محمد بن إبراهيم بن زكرى، شاعر أديب، ولد في مدينة طرابلس سنة: 1269هـ، ونشأ بها، ودرس في مدرسة عثمان باشا، وجامع شائب العين، وتلقى دروسه الدينية على العلامة محمد كامل بن مصطفى، وكان كثير الصمت قليل الكلام إلا في الحق والتعليم، مات سنة: 1335هـ، من تصانيفه: (ديوان شعر)، و(نزهة اللباب مع الديوان)، وهي أرجوزة في نظم قواعد (الشافية) لابن الحاجب في الصرف. انظر: الأعلام للزركلي (244/7)، وأعلام ليبيا (396).

المطلب الثاني: آثاره العلمية والقلمية:

معلما وخطيبا: بعد رجوع الشيخ من الأزهر كلفته إدارة المعارف العمومية بطرابلس إلقاء دروس في التوحيد والفقه واللغة العربية على طلبة مكتب الرشيدية [1]، كما أنه -رحمه الله- درّس في مدرسة عثمان باشا، ومدرسة أحمد باشا، وأما في المساجد فكان خطيبا مفوها، وواعظا مؤثرا، وناصحا نبيلا، يدل الناس على الله، ويخوفهم من ناره، ويرغبهم في جنته، وفي المساجد أيضا كان يعطي الدروس والمواعظ والإرشاد، ولا يتأنف من تعليم الصغير أو الفقير، ساعيا في نشر العلم والمعرفة، وقد ذكرت كتب التراجم أن خلقا كثيرين كانوا يحضرون مجلسه، ويستمعون دروسه، ويتعلموا منه حسن الأدب، وأحكام الدين.

مفتيا: تصدر الشيخ الإفتاء في طرابلس بعد رجوعه من مصر للعامة والخاصة، حتى سمع به المفتي في ذلك الوقت العلامة مصطفى إبراهيم باكير[2]، وأصبح محل ثقة لديه، فكان يكلفه بالإفتاء نيابة عنه حال غيابه، وبعد وفاة العلامة مصطفى ابراهيم باكير سنة: 1311هـ، ولاه والي طرابلس منصب الإفتاء خلفا له في نفس السنة، وبقي مفتا لليبيا إلى أن توفاه الله.

مؤلفا ومصنفا: ولما كان الشيخ متنوع العلوم متعدد المعارف من علوم الآلة وعلوم المقاصد، تحركت فيه نوازع التأليف وهمم الشوق إلى التصنيف، فبدأ بتأليف كتابه "الفتاوى الكاملية في الحوادث الطرابلسية"، وكان ذلك سنة: 1308هـ، كما أنه استجمع ما ألقه في دروسه على تفسير البيضاوي من تعليقات وتقريرات على الربع الأخير من تفسيره، وسماها: "مجموعة العبد الذليل على ربع أنوار التنزيل"، ولدى الشيخ تصنيف في علم الصرف، اسمه: "فتح الودود في حل نظم المقصود" ولعله مفقود، ولم تصل أيدي الباحثين إليه، وهو عبارة عن شرح لأرجوزة في علم الصرف، لشيخه العلامة أحمد عبد الرحيم الطهطاوي، ولدى الشيخ أيضا كنّاش، أو (المجموع)، جمع فيه بعض قيوده، ورحلاته، وفتاويه وأشعاره، وله تقارير وحواشٍ على بعض مؤلفات التفتازاني، وغير ذلك، لكن أكثر هذه المصنفات لاتزال مفقودة.[3]

المطلب الثالث: عصر العلامة محمد كامل -رحمه الله:

عاش الشيخ محمد كامل-رحمه الله- في أواخر عهد الأسرة القره مانلية، (والذي كان معروفا بالفساد والظلم والقهر لأبناء طرابلس)[4] ، وكان ذلك في مطلع حياته، ثم تلاه العهد الآخر، وهو زمن العثمانيين الثاني، وبالتحديد عهد نجيب باشا، أول وال على طرابلس بعد

(1) المدرسة النظامية الوحيدة التي أسسها الأتراك في طرابلس سنة:1857م في عهد ولاية أحمد عزت باشا الأولى، وتقع على باب البحر، وكانت هذه المدرسة تعد طلابها ليشغلوا وظائف الدولة الإدارية ومعلموها من الأتراك. انظر: الجواهر الإكليلية (315).

(2) مصطفى بن إبراهيم بن مصطفى بن أبو بكر باكير الحنفي، مفتي الحنفية بطرابلس، ولد في طرابلس، ونشأ بها، وقرأ العلوم على أساتذة عصره، منهم العلامة الطاهر محمد المحجوب، والشيخ علي بن موسى، وأخذ الحديث والتفسير على أبي عبد الله محمد المسعودي الصيد دراية ورواية بالسند المتصل إلى الشيخ العدوي الصعيدي، توفي سنة: 1311هـ. انظر: المصدر السابق (309).

(3) ذكره الأستاذ علي الفقيه حسن في كتابه أعيان ليبيا، ص (20).

(4) انظر: ولاة طرابلس من بداية الفتح العربي إلى نهاية العهد التركي (235).

عهد القره مانليين، سنة: 1251هـ، وهذا العصر كان أيضا يعج بالتوتر وعدم الاستقرار؛ بسبب الثورات المتكررة من أبناء طرابلس، وتغير الولاة المتعدد، هذا يعني أن الشيخ محمد كامل شهد -منذ عودته إلى وطنه في عام 1270هـ إلى أن توفاه الله -ثمانية عشر واليا تعاقبوا في تلك الفترة من حياته، وهذا يعطينا صورة بأن الشيخ محمد كامل مر في تلك الفترة بظروف سياسية واقتصادية حرجة، خصوصا الحياة الثقافية والعلمية، فقد كانت ضعيفة وهزيلة، ومع ذلك عمل الشيخ جاهدا -من منطلق أهدافه، وسلوكه، ومنهجه الصوفي- بالتعاون مع كثير من الولاة الذين عيّنتهم الدولة العثمانية، رجاء النهوض بهم إلى دولة إسلامية حقيقية، يعمها القانون، وتسودها العدالة، وتتطلع إلى الرقي والحضارة، وقد كان الولاة وقتئذ ما بين مصلح ومفسد[1]. ورغم ذلك فقد كان الشيخ متمسكا بمبادئه الأخلاقية، محافظا على رسالته العلمية، باقيا على دوره معلما، وواعظا، ومصلحا، ولنا مثال على ذلك، فالشيخ محمد كامل، كان لا يحب السهر، ولا يخرج من بيته ليلا، ولكن لاحظ الناس مداومته على السهر في آخر حياته، وكان يسهر مع الحاكم التركي في ذلك الوقت، وعندما سئل عن ذلك، فقال: لذلك سر[2]. فكان السر هو أن الحاكم ترك عادته، وحطم كأسه، واستحيا من مضايقة الشيخ محمد كامل. فتغيير طبيعة الشيخ، وعادته، كانت في سبيل الدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وهذا مثال من أمثلة كثيرة تشير إلى همة الشيخ، وقيامه بالدعوة إلى الله، وسعيه في نشر العلم والأخلاق، بين الناس العامة والخاصة.

وفاته: وفي سنة ألف وثلاثمائة وخمسة عشر للهجرة، لبى الشيخ نداء ربه -الحي الباقي-، وقد بلغ من العمر إحدى وسبعين سنة، توفي -رحمه الله-في مدينة طرابلس الغرب، ودفن في مقبرة الصحابي الجليل: منيذر اليماني[3] -رضي الله عنه.

فهذه نبذة يسيرة عن حياة الشيخ محمد كامل بن مصطفى-رحمه الله-مقتبسة من عدة مصادر ومراجع ليبية، وغير ليبية[4].

---

(1) المصدر نفسه، وانظر: محمد كامل بن مصطفى وآثاره في الحياة الفكرية (95).

(2) انظر: أعلام من طرابلس (181).

(3) المنيذر الأسلمي. ويقال: الثمالي، ويقال: هو المنيذر بصيغة التصغير، ذكره ابن يونس، وقال: رجل من أصحاب النبي-صلى الله عليه وسلم-، وذكر الإمام البخاري في تاريخه: أن المنيذر روى في أفريقيّة حديث: «من قال رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد-صلى الله عليه وسلم-نبيًا، فأنا الزعيم لآخذن بيده فلأدخلنه الجنة». ونقل الرشاطيّ عن عبد الملك بن حبيب قال: دخل الأندلس من الصحابة المنيذر الإفريقي، ولم يتابع عبد الملك على ذلك، فإنه لم يتجاوز إفريقية. أقام في طرابلس إلى أن توفي فيها، ودفن في المقبرة التي حملت اسمه: (مقبرة سيدي منيذر) بطرابلس الغرب. انظر: الإصابة في معرفة الصحابة (180/6)، ونفحات النسرين والريحان (65).

(4) أشير إلى أن المصادر والمراجع التي اقتبست منها هذه الترجمة هي، كتاب: الشيخ محمد كامل بن مصطفى وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا، لمحمد مسعود جبران، بداية من صفحة: (39)، وكتاب أعلام من طرابلس لعلي المصراتي، بداية من الصفحة: (175)، والملاحظ في هذا الكتاب أن ترجمة الشيخ محمد كامل طويلة ومفصلة، إلا أن صاحب الكتاب لم يشر إلى أي مصدر أو مرجع اقتبس منه هذه الترجمة، ولعله قد أحاط بها من مخطوطات لم تكشف بعد؛ لأنه لا يعقل أن تذكر هذه الترجمة بهذه التفاصيل دون مرجع أو مصدر، وكذلك من المصادر= =التي عدت إليها، كتاب: أعلام ليبيا لطاهر الزاوي، بداية من الصفحة:

المبحث الثاني: جهود العلامة محمد كامل في علم التفسير، وفيه مطالب:

المطلب الأول: نبذة عن كتابه: (مجموعة العبد الذليل على ربع أنوار التنزيل).

لقد كان لهذا الرجل الكبير، والعالم النحرير جهوده المباركة في خدمة العلم على اختلاف أنواعه، من تفسير وفقه ولغة عربية، وأعطى كل نوع من هذه العلوم عناية خاصة، مقدما بذلك عصارة ما اكتسبه من العلوم، خدمة للشريعة الإسلامية، رغم المحن التي كانت في زمانه، والعقبات التي وقفت أمامه، فقد أجهد الشيخ محمد كامل-رحمه الله- نفسه في التأليف في العلوم الشرعية، ومن تلك الجهود المشكورة كتابه الذي نقدم له في هذا البحث المتواضع، واسمه: "مجموعة العبد الذليل على ربع أنوار التنزيل"، إسهاما منه في تزويد المكتبة الإسلامية بالمنافع التفسيرية المفيدة، وهو عمل لم تظهر ضخامته في الكم، لكنه يتميز بالفوائد والفرائد.

"**مجموعة العبد الذليل على ربع أنوار التنزيل**"، هكذا سماه الشيخ محمد كامل، ولعل اختيار هذا الاسم يشير إلى ما قام به من عمل في هذا الكتاب، فقد جمع الشيخ أخص الأقوال، وأنفس التعليقات، وأصح الشروحات والحواشي على تفسير البيضاوي، كحاشية ابن التمجيد، وحاشية الشيخ زادة، وحاشية الخفاجي، وحاشية القونوي، وغيرها من الحواشي، كما أن هناك طائفة كبيرة من أقوال المفسرين، وكلام أهل العلم ضمن هذه التعليقات، دعما وشرحا لعبارة البيضاوي، ثم إن هذه المجموعة عبارة عن دروس كان يلقيها الشيخ محمد كامل في شهر رمضان حسب ما ذكر في مقدمة كتابه: (مجموعة العبد الذليل..)، والتي كانت في قراءة وشرح تفسير البيضاوي، فكان الشيخ أثناء إعطائه الدروس يعلق ويقيد على تفسير البيضاوي بعض الفوائد النفيسة، والمنافع الفريدة، والنكت الجليلة، وكانت بداية جمعه لهذه التعليقات من الجزء الأخير من القرآن الكريم، فبدأ من سورة النبأ إلى نهاية سورة الناس، ثم أخذ بتفسير سورة الجن إلى نهاية سورة المرسلات، ثم تناول سورة الملك إلى آخر سورة نوح، وهكذا حتى وصل إلى نهاية سورة يس، أي نهاية الربع الأخير من القرآن؛ لكن من المؤسف أن لا يصل إلى أيدي الدارسين، وأعين المحققين غير يسير من التعليقات على أربع سور من القرآن، وهي سورة يس، وسورة الصافات، وسورة ص، وسورة الزمر، فكان الشيخ يجمع شرحه وتقييداته على تفسير البيضاوي في كراريس، ثم يجمعها في أجزاء، وقد سمى الشيخ هذا القدر من السور الأربعة بالجزء الأول، وما بعده بداية سورة غافر بالجزء الثاني[1]، وهكذا، وأما طريقته في جمع المادة العلمية من تفسير البيضاوي، فكان الشيخ محمد كامل يذكر عبارة البيضاوي مختصرة، ثم يجمع حولها ما يختاره من النقول والاختيارات العلمية والتفسيرية، كما أنه يأتي بالفوائد والفرائد من تفسير البيضاوي وغيره من التفاسير التي ينقل كلامها في الآية، ويذكر الشيخ اسم السورة

---

(383)، وهنا أيضا نلاحظ أن الشيخ طاهر ترجم لمحمد كامل معتمدا على كتاب المصراتي، وأما بقية الكتب التي بها ترجمة محمد كامل بن مصطفى، فهي موجزة، ككتاب: الأعلام لخير الدين الزركلي (218/5)، ودليل المؤلفين العرب الليبيين، ص(410)، ورحلة الحشائشي إلى ليبيا، ص(67-68)، والفتاوى الكاملية، ص(2)، ومعجم المؤلفين (160/11).

(1) ينظر كتاب: تعليقات على أنوار التنزيل، تحقيق: عبد الدائم الباجقني، في حاشيته من الأسفل، ص (54).

ووصفها من حيث المكي والمدني، ويذكر عدد آياتها، ويذكر الآثار في فضل السورة، متتبعا طريقة الإمام البيضاوي، وإذا سلطنا الضوء على مكانة اللغة العربية في هذه التعليقات، فسوف نجد سيبويه يعلق ويناقش، ويفند، فتراه يتتبع عبارة البيضاوي، فيذكر الإعراب في الآية، ولا يسلِّم لمن نقل عنه في كل شيء، بل كان يناقش ويوجه الأقوال، ويعترض أحيانا على بعض الأقوال اللغوية، من اختيارات البيضاوي، أو من أقوال أصحاب الحواشي، وفي هذه التعليقات أيضا سوف ترى جزالة الشيخ في علم القراءات، فهو يورد قراءة الجمهور أولا، ثم باقي القراءات في الآية، ويستعين بهذه القراءة في إعراب الآية، وأما طريقته في الاستدلال، فإنه يستشهد بالأحاديث والآثار، لكنه لا يهتم بصحتها من عدم صحتها، فربما يستشهد بالضعيف، وحتى الباطل منها والموضوع، ويذكر الشيخ الإسرائيليات، ولا يتعقبها، وإذا مرت مسألة، فإنه يستطرد في ذكر الأقوال المتشابهة لها، كما أنه-رحمه الله-لم يغفل في إيراد المسائل الفقهية في حاشيته على أقوال المذاهب الأربعة، خصوصا المذهب الحنفي. وأما بالنسبة للأمثال والأشعار، فقد ملأ الشيخ محمد كامل هذه التعليقات بها؛ وفي الخلاصة فهذه التعليقات كثيرة الفائدة، غزيرة النفع، غنية بالشواهد والآثار، تشتمل على فنون عديدة من حديث وفقه وعقيدة ولغة وأدب، يستطيع طالب العلم من خلالها التنقيب والتحقيق والتحليل في كتب الحديث والفقه والعقيدة واللغة، فهي محل دراسة وبحث.

وفي هذه السطور سنذكر سند الشيخ محمد كامل بن مصطفى في تفسير البيضاوي، فمن شدة حبه لتفسير البيضاوي وإجلاله له، بحث عن أصحاب السند لهذا التفسير، فيقول الشيخ ابن مصطفي في بداية كتابه مجموعة العبد الذليل: "وسميتها مجموعة العبد الذليل على ربع أنوار التنزيل راجيا من المولى الكريم العفو عما فيها من الزلل العظيم، هذا واني أروي تفسير القاضي المذكور عن المرحوم الصالح سيدي عبد الله السني عن الأستاذ الأكبر والقمر الأنور الشيخ سيدي محمد السنوسي الخطابي عن شيخه أبي سليمان عبد الحفيظ بن محمد العجيمي مفتي مكة المشرفة عن الشيخ محمد طاهر سنبل عن الشيخ عارف فتني عن الشيخ أبي البقاء حسن بن علي العجيمي عن الشيخ أحمد بن العجل عن الامام يحيى بن مكرم الطبري عن الحافظ عز الدين عبد العزيز بن فهد عن القاضي كمال الدين أبي الفضل محمد بن النجم محمد بن أبي بكر المرجاني، قال: أخبرني به المسند أبو هريرة عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي عن عمر بن إلياس المراغي، قال: أخبرنا به مؤلفه -رحمه الله تعالى- وهو عبد الله، ولقبه: ناصر الدين، وكنيته: أبو الخير بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي.."[1].

المطلب الثاني: التعريف بتفسير البيضاوي.

اسمه: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)، والمعروف بتفسير البيضاوي، لقاضي القضاة أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد بن علي، البيضاوي، الشافعي، الشيرازي، نسبة إلى مدينة بيضاء بفارس قرب شيراز، عالم أذربيجان، الإمام الصالح العابد المجتهد النظار، وصاحب المصنفات توفى بمدينة تبريز سنة: 691هـ، وقيل: 685هـ. له مصنفات كثيرة منها كتاب: (المنهاج) في أصول الفقه، و(الغاية القصوى) في الفقه، و(لب اللباب) في علم

(1) انظر: تعليقات على أنوار التنزيل، تحقيق: عبد الدائم الباجقني، ص (64-65).

الإعراب، و(شرح المطالع) في المنطق، وكتاب: (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) في التفسير، والمعروف بتفسير البيضاوي[1]. فهو من أشهر كتب التفسير، وأكثرها حواشي وتعليقات، وهو تفسير متوسط الحجم، كثير المعاني، جمع فيه صاحبه بين التفسير والتأويل، وفق القواعد اللغوية العربية، وقواعد علم التفسير، متأثرا بتفسير "الكشاف"، فقد أخذ منه ما يصلح للعرض، واستبعد ما لا يصلح، كالاعتزالات، وربما غفل البيضاوي عن بعضها، فذهب إلى ما ذهب إليه صاحب "الكشاف". في تفسيره هذا أعمل البيضاوي فكره وعقله وذهنه، فترى فيه الاستنباطات الدقيقة، والنكت المفيدة، واللطائف البارعة، والإشارات الرائعة، والحكم النافعة والعبر العظيمة، كل ذلك بأسلوب رائع وموجز. في هذا التفسير ترى طريقة الفخر الرازي في كيفية تحرير المصطلحات، وكلامه في الآيات الكونية، فقد تأثر البيضاوي بتفسير الفخر الرازي المسمى بـ"مفاتيح الغيب"، كما أن البيضاوي استدل كثيرا في تفسير بعض المصطلحات بكتاب "جامع التفاسير" للراغب الأصفهاني. أما بالنسبة للاستدلال والاستشهاد بالنصوص، فقد اعتمد البيضاوي كثيرا على الآثار الواردة عن الصحابة والتابعين دعما واستدلالا لما يقول، لكن لا يخلو كتابه هذا من بعض الانتقادات، إذ أن البيضاوي كان يذكر في نهاية كل سورة حديثاً في فضلها، وأجر قراءتها، والمعلوم عند علماء الحديث أن هذه الأحاديث والآثار أغلبها أحاديث موضوعة باتفاق أهل الحديث.

أهمية تفسير البيضاوي:

يعد تفسير البيضاوي من أهم كتب التفسير، حيث تميز بدقة العبارة، وصحة المعنى عند تفسيره للقرآن الكريم، جمع فيه بين المنهج المأثور، والمنهج المعقول، فعلى الرغم من صغر حجمه، إلا أنه قد اشتمل على مزيج كبير من الجوانب اللغوية والفقهية والعقائدية، فقد عمل البيضاوي على توظيف العقل والعلم في شرح آيات القرآن الكريم، حقق فيه توازنا رائعا كان سببًا رئيسيًا في استمرارية تأثيره في العالم الديني والإسلامي، كما أنه أصبح مرجعا ومصدرا لكثير من المفسرين، كالقرطبي وابن كثير وغيرهما، ولما كان هذا الكتاب على درجة عالية من الأهمية، إلا أن الناس وطلبة العلم تهيبوه؛ لقوة مفرداته، وجزالة تراكيبه، وعمق أسلوبه البلاغي، عكف عليه العلماء بالدرس والشرح والتحشية، فمنهم من قصد سورة واحدة، وعلّق عليها، ومنهم من علق على بعض سور منه، كالعلامة محمد كامل، ومنهم من تناول التفسير كاملا، فقام بالتحشية عليه، حتى كثرت حواشيه، وزادت عن الأربعين، وقد جمع صاحب كشف الظنون منها عدداً كبيرا جدا، حيث أشار إلى أفضلها وأكثرها تداولاً ونفعاً، ونحن بين يدي (مجموعة العبد الذليل على ربع أنوار التنزيل) للعلامة محمد كامل بن مصطفى، وهي إحدى التعليقات على تفسير البيضاوي، والتي سوف نقوم بمتابعتها من خلال بحثنا هذا؛ لنرى مدى ارتباطها بهذا التفسير، والبحث عن أهم مجهودات محمد كامل فيها .

(1) انظر: شذرات الذهب (7/ 685)، وسير أعلام النبلاء (17/ 258)، والبداية والنهاية (17/ 606)، وطبقات المفسرين (1/ 248).

المبحث الثالث: اجتهادات محمد كامل في تعليقاته على تفسير البيضاوي، وفيه مطلبان:

تمهيد:

لاتزال عقول العلماء بالحق مشغولة، وللأقلام ممسكة، وللعلوم مُسَطِّرة، وللفنون مدونة، لا يثنيهم عن خدمة المسلمين شيء، فهم كرسوا حياتهم لخدمة البشر، وتنازلوا عن ملذاتهم في سبيل اكتشاف ما ينفع الناس ويفيدهم، عازمين على تبسيط الصعاب لعقول الآخرين، وشرح أصول الفقه، وقواعد أصول الدين لطلبة العلم والدارسين، وقد كان من بين هؤلاء العلماء النجم اللامع، والقمر الساطع، إمام زمانه، وفارس ميدانه الشيخ محمد كامل بن مصطفى-رحمه الله- الذي لم يألو جهدا في خدمة العلم، وطلبة العلم، وكان مما اشتغل به علم التفسير الذي هو عماد العلوم وأصلها، وقد سلط شيخنا أنظاره على تفسير القاضي البيضاوي، لعلمه بمكانته ومنزلته بين التفاسير، ومع حب الشيخ محمد كامل لتفسير البيضاوي وتوقيره له، إلا أن ذلك لم يمنعه من التعامل معه بما أعطاه الله من علم ومعرفة، ومن عقل وفكر، فقد كان الشيخ صاحب شخصية مستقلة محايدة، لم يرض بكل ما ذكره البيضاوي في تفسيره، بل كان يستدرك أحياناً على كلامه، أو يتعقبه بما يراه صواباً، أو يؤيد كلام غيره ممن يخالفه من أهل العلم والتفسير.

فتعليقات الشيخ محمد كامل-رحمه الله-على الربع الأخير من تفسير البيضاوي –كما أسلفت-ما هي إلا مجموعة من أقوال أصحاب الحواشي السابقين له في التحشية على هذا التفسير، ومجموعة من أقوال بعض المفسرين وآرائهم؛ للاستشهاد بها، وللاستدلال على اختيارات البيضاوي التفسيرية، سواء كانت من باب الدعم له، أو يذكرها محمد كامل اعتراضا عليه في بعض توجيهاته وتفسيراته.

فلم يضف الشيخ محمد كامل جديدا على تفسير البيضاوي إلا اليسير، فليس له إلاَّ جمع الأقوال، والترجيح بينها، أو توجيهها، أو تعقبها، لكن ذلك في الحقيقة يظهر شخصية الشيخ محمد كامل العلمية من خلال ترجيحاته واختياراته وتعقبه لبعض أقوال مخالفيه، أو تأييدهم فيما خالفوا البيضاوي فيه، وبين يدي الباحث كتاب: تعليقات على أنوار التنزيل، أو (مجموعة العبد الذليل على ربع أنوار التنزيل)، وهي النسخة المحققة من قبل الدكتور عبد الدائم محمد الباجقني، وهو الجزء الأول من هذه المجموعة الكبيرة، والمتضمنة لسورتين من هذا الربع، وهما: سورة يس، وسورة الصافات، فمن خلالها سوف ألتقط كل ما اجتهد فيه ابن مصطفى وانفرد به عن البيضاوي أو أصحاب الحواشي عليه، وسوف أذكرها في المطلب القادم مرتبة حسب مصادفتي لها، فلا أتقيد بذكر الموافقات أولا، ثم المفارقات؛ بل الأولوية لمن سبق.

المطلب الأول: اجتهاداته في سورة يس:

1-في قوله تعالى: {إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ} [يس:3]، قال البيضاوي: "لمن الذين أرسلوا"[(1)]. علق الشيخ محمد كامل على قول البيضاوي بقول الشيخ زادة[(2)]: "(أرسلوا على صراط)، إشارة

(1) انظر: تفسير البيضاوي (127/3).

(2) محيي الدين محمد بن مصلح الدين مصطفى بن محسن الدين، الشهير بشيخ زاده، فقيه حنفي، مفسّر، توفي بقسطنطينية سنة:951هـ، وله تسعون سنة، درّس بالقسطنطينية، ثم آثر العزلة. له

إلى أن على صراط متعلق بالمرسلين، فإن فعل الإرسال يتعدى بـ على، فإنه يقال: أرسلت عليه كذا، قال تعالى: {وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبابِيلَ} [الفيل:3]."اه[1]. وقد عقب محمد كامل على كلام الشيخ زادة قائلا: "والأولى أن يقال: أرسلته على كذا، فإن المصطفى أرسل على الصراط"[2]. اهـ

ويرى الباحث من كلام ابن مصطفى عدم التسليم لكلام الشيخ زادة بهذا التمثيل الذي ذكره، لأنه لا يناسب المقام الشريف، فإن طيور الأبابيل أتت بالعذاب، بينما النبي -صلى الله عليه وسلم-أتى بالرحمة من عند الله، كما يرى الباحث أن في قول الشيخ محمد كامل: (والأولى أن يقال: أرسلته على كذا، فإن المصطفى أرسل على الصراط)، ربما يقصد بذلك تضمين (على) معنى الباء، أي: أرسل بالصراط المستقيم، كما قال الصرصري[3]:

أتى بصراط مستقيم من الهدى ... له نبأ بادي البيان لباحث

أو إعطاء (على) معنى الفوقية، فكأن الرسول-صلى الله عليه وسلم-علا فوق الصراط المستقيم، وسما عليه بكمال أخلاقه، وعظيم استقامته، فأصبح الصراط المستقيم من رسول الله-صلى الله عليه وسلم-يتعلم، ومن أنواره يهتدي.

2-في قوله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنا فِي أَعْناقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الْأَذْقانِ فَهُمْ مُقْمَحُونَ} [يس:8]، أشار البيضاوي في هذه الآية إلى عود ضمير: {فَهُمْ مُقْمَحُونَ} إلى الأغلال، حيث قال: "فالأغلال واصلة إلى أذقانهم"[4]. اهـ وسلك في ذلك رأي الزمخشري الذي يرى عود الضمير على الأغلال؛ بل ينكر الزمخشري على من جوز عود الضمير على الأيدي من كلام طويل.[5] ، وخالفه في ذلك الشيخ محمد كامل حيث رجح عود الضمير إلى الأيدي، بقوله:" فالضمير في قوله تعالى: {فَهُمْ مُقْمَحُونَ} عائد إلى الأيدي، وإن لم يجر لها ذكر، لكن الغل يدل عليها؛ لأنه يجمعها مع الأعناق"[6]، ولم يكن الشيخ محمد كامل قد تبنى هذا الرأي وحده، بل كثير من العلماء يجوزون عود الضمير على الأيدي، كالعلامة أحمد بن المنيّر[7]

تصانيف كثيرة أبرزها حاشية على (أنوار التنزيل) للبيضاوي. انظر: معجم المؤلفين (721/3)، والأعلام (99/7).

(1) انظر حاشية الشيخ زادة: (24/4).

(2) انظر: مجموعة العبد الذليل على أنوار التنزيل، ص (76).

(3) يحيى بن يوسف بن يحيى الأنصاري، أبو زكريا، جمال الدين الصرصري. ولد في صرصر على مقربة من بغداد سنة: 588هـ، وسكن بغداد. شاعر ضرير، له ديوان شعر صغير مخطوط، ومنظومات في الفقه وغيره. منها الدرة اليتيمة والحجة المستقيمة» قصيدة دالية في الفقه الحنبلي 2774 بيتا. وقصيدة في كل بيت منها حروف الهجاء كلها. وغيرها. قتله التتار يوم دخلوا بغداد سنة:656هـ قيل قتل أحدهم بعكازه ثم أستشهد. انظر: النجوم الزاهرة (66/7)، ومرآة الجنان (147/4).

(4) انظر: تفسير البيضاوي (127/3).

(5) انظر: تفسير الكشاف (166/5-167).

(6) انظر: مجموعة العبد الذليل على أنوار التنزيل، ص (79).

(7) العلامة الفاضل أحمد بن محمد بن منصور الجذامي، ناصر الدين ابن المنيّر الإسكندراني المالكي. ولد سنة: 620هـ، برع في الفقه، والأصول، والنظر، والعربية، والبلاغة، وصنف العديد من التصانيف

في حاشيته[1] على الكشاف، حيث قال: "ولا شك أن ضغط اليد مع العنق في الغل يوجب الإقماح، فان اليد والعياذ بالله –تعالى- تبقى ممسكة بالغل تحت الذقن دافعة بها، ومانعة من وطأتها، ويكون التشبيه أتم على هذا التفسير"[2] وكذلك الإمام البغوي[3] في تفسيره يقول: "هي" كناية عن الأيدي -وإن لم يجر لها ذكر-؛ لأن الغل يجمع اليد إلى العنق"[4].

3-في قوله تعالى: {يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ} [يس:30]، قال البيضاوي: "ويجوز أن يكون تحسرا من الله عليهم، على سبيل الاستعارة، لتعظيم ما جنوه على أنفسهم"[5]، ثم عقب الشيخ محمد كامل على كلامه بكلام صاحب تفسير (روح البيان)[6]: "شبه استعظام الله لجنايتهم على أنفسهم، بتحسر الإنسان على غيره، لأجل ما فاته من الدولة العظمى، من حيث إن ذلك التحسر يستلزم استعظام ما أصاب ذلك غيره، والإنكار على ارتكابه والوقوع فيه"[7].

ثم خالفهما الشيخ محمد كامل بقوله: "والأولى أن يكون مجازا مرسلا، من إطلاق الملزوم، وإرادة اللازم"[8]اهـ ولعل الشيخ محمد كامل لا يرى علاقة تشبيه بين الملزوم واللازم، ولذلك وصفه بالمجاز المرسل، وليس استعارة، فالاستعارة كالمجاز إلا أن الانتقال من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي يصاحبه تشبيه، كأن تقول: رأيت زهرة تحملها أمها، وتريد: طفلة تشبه الزهرة في نضارتها وجمالها. وعلى كلام ابن مصطفى، فإن الله تعالى: أطلق الملزوم، هي: الحسرة، وأراد اللازم هي: سوء العاقبة أو الخاتمة، فليست الحسرة مقصودة، وإنما سوء العاقبة، مع أنهما متلازمان.

4- في قوله تعالى: {ومَا علَّمناهُ الشِّعْرَ}[يس:69]، أشار البيضاوي بأنها رد على من قال: إن الرسول -صلى الله عليه وسلم- يحسن الشعر، باستدلالهم على قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- : «هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا لَقِيتِ»[9]، وأن الله ما علمه الشعر

النافعة، منها: الانتصاف من الكشاف، ومختصر التهذيب في الفقه، وله تفسير نفيس وغير ذلك. توفي سنة: 683هـ. انظر: العبر للذهبي (5/ 342)، وبغية الوعاة للسيوطي (1/ 384).

(1) (الانتصاف من الكشاف) أول حاشية على تفسير الكشاف في الرد على اعتزالاته، وتحرير عباراته، كان يقول مصنفها: قال محمود على عبارة الكشاف، ويقول: قال أحمد عن كلامه، وهي مطبوعة بهامش تفسير الكشاف.

(2) انظر: الانتصاف من الكشاف، بهامش تفسير الكشاف (5/4).

(3) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء، البغوي الشافعي، الشيخ الإمام العلامة، القدوة الحافظ، شيخ الإسلام، محيي السنة، المفسر، صاحب التصانيف كشرح السنة، ومعالم التنزيل، والمصابيح، وكتاب التهذيب في المذهب، والجمع بين الصحيحين، وغيرها، توفي سنة: 510هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (439/19).

(4) انظر: تفسير البغوي (9/7).

(5) انظر تفسير البيضاوي (131/3).

(6) تفسير روح البيان لمؤلفه: إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي, أبو الفداء توفي سنة: (1127هـ) .

(7) انظر: تفسير روح البيان (389/7).

(8) انظر: مجموعة العبد الذليل على أنوار التنزيل، ص (107).

(9) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: من ينكب في سبيل الله، رقم الحديث: (2648)، (1031/3).

بتعليم القرآن، وأن هذا الحديث غير موزون شعريا، ثم قال: البيضاوي: "على أن الخليل[1] ما عد المشطور من الرجز شعرا"[2]، نافيا أن كلامه -صلى الله عليه وسلم-من الشعر، وعلى وزن بحر الرجز؛ لأنه مشطور، أي مقطوع، وقد عزز محمد كامل -رحمه الله - كلامه بكلام الشيخ زادة بقوله: "فالرجز: مستفعلن ست مرات، نحو: هل أنت إلا أصبع- مستفعلن مستفعلن- دميت- فعولن. هو مقطوع مخبون، والقطع حذف ساكن الوتد، ثم إسكان المتحرك، كحذف نون مستفعلن، ثم إسكان لامه ... إلى آخر كلامه"[3] ا.هـ، زاد الشيخ محمد كامل على كلام الشيخ زادة؛ لتعم الفائدة، ويتم المقصود، فقال: "وكان من المناسب أن يبين الخبن بعد بيان القطع، فإنه ذكر أنه: مقطوع مخبون، وبين معنى القطع دون الخبن. والخبن: حذف الثاني ساكنا، كحذف (سين) مستفعلن"[4]. اهـ وفي هذا دلالة على دقة الشيخ محمد كامل-رحمه الله-، وسعة علمه، لا سيما في علوم اللغة العربية، وما يتعلق بها من فنون، كما أن فيه دلالة على حرص الشيخ على إتمام المعنى، وإيصال الفائدة.

5- في قوله تعالى: {لِتُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا}[يس:70]، قال البيضاوي في تفسيرها: أي من كان "عاقلا فهما، فإن الغافل كالميت، أو مؤمنا في علم الله تعالى، فإن الحياة الأبدية بالإيمان، وتخصيص الإنذار به؛ لأنه المنتفع به"[5].اهـ؛ وعلى هذا عامة المفسرين، لكن محمد كامل-رحمه الله- لم يسلم لهذا القول، بل تعقبه بقوله: "وقد سمعت من بعض مشايخي أن المراد كل من كان موصوفا بالحياة، فإن كلمة: {مَن} من صيغ العموم، فتشمل كل ذي حياة، قال: والآية أدل دليل على عموم رسالته - صلى الله عليه وسلم- للإنس والجن والملائكة - عليهم السلام - وهو في غاية الحسن، والله تعالى أعلم"[6]. وفي هذا المعنى يقول الباحث أن الشيخ محمد كامل -رحمه الله-بنى كلامه على ما سمعه من شيوخه من أن: {مَن} من صيغ العموم، فهي تعم كل من تدب فيه الحياة من الإنس والجن إلى يوم القيامة. وأتعجب من عدم استدلاله بقوله تعالى: {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ}[الأنعام:19]، أليس الكلام موجها إلى أهل مكة بقوله تعالى: {لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ}، وذلك زمن كفرهم وتعنتهم وإنكارهم رسالة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-؛ بل زاد الله -سبحانه وتعالى-على ذلك بقوله: {وَمَنْ بَلَغَ} أي: كل من بلغه القرآن من موجود ومعدوم سيوجد في الأزمنة المستقبلة، أليس القرآن الأولى أن يفسر بالقرآن.

---

(1) الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي البصري، ولد سنة: 100هـ، من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض، مات سنة: 170هـ، وهو أستاذ سيبويه النحويّ. انظر: تهذيب الكمال (326/8).

(2) انظر تفسير البيضاوي (138/3).

(3) انظر: حاشية الشيخ زادة (44/4).

(4) انظر: مجموعة العبد الذليل على أنوار التنزيل، ص (180).

(5) انظر: تفسير البيضاوي (138/3).

(6) انظر: مجموعة العبد الذليل على أنوار التنزيل، ص (183).

6-في قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ} [يس:77]، يشير البيضاوي[1] إلى أن الإنسان المقصود به هنا، هو: أبي بن خلف، كذلك قال الشيخ زادة[2] في حاشيته على البيضاوي، وأن الآية نزلت في أبي بن خلف. وقد رد هذين القولين ابن مصطفى بقوله: "ولا يخفى ما في قوله: وأنه المراد بالإنسان من النظر، فإن الظاهر أن المراد بالإنسان الجنس، لا خصوص هذا الفرد، وإن كان هو السبب في النزول، كما يدل عليه ما نقله عن أصول الفقه"[3]اهـ. وقد استدل الشيخ محمد كامل بقول الهنداوي[4] بقوله: والإنسان المذكور في الآية المراد به جنس الإنسان[5]اهـ. ودعما لما تقدم به محمد كامل-رحمه الله-من اختيار لهذا التفسير، نشير إلى رأي ابن كثير[6] أيضا في تفسيره، حيث يقول: "وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت في أُبي بن خلف، أو العاص بن وائل، أو فيهما، فهي عامة في كل من أنكر البعث، والألف واللام في قوله تعالى: {أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ} للجنس يعمّ كلَّ منكر للبعث"[7].

المطلب الثاني: اجتهاداته في سورة الصافات:

7-في قوله تعالى: {وربُّ المشَارِقِ}[الصافات:5]، اختار البيضاوي تفسير مشارق الشمس بأنها اسم للزمان، ولذلك عد مطالعها بثلاثمائة وستين مطلعا للشمس خلال السنة، ونفى أن تكون مائة وثمانين[8] كما عليه الكثير من المفسرين، بينما الشيخ محمد كامل-رحمه الله-فند المسألة، وفصلها، حيث ذكر أن المشارق اسم للزمان والمكان سواء. كما نص على ذلك بعض العلماء[9]، فمن اختار ثلاثمائة وستين مطلعا للشمس قصد الزمان، ومن اختار مائة وثمانين اختار المكان[10].

---

(1) انظر: تفسير البيضاوي (138/3).

(2) انظر: حاشية الشيخ زادة على تفسير البيضاوي (4/45).

(3) انظر مجموعة العبد الذليل على أنوار التنزيل، ص (196).

(4) محمد بن عبد الله بن محمد بن عمر الهنداوي، المعروف بأبي حنيفة الصغير فقيه، المتوفى سنة: 362 هـ من آثاره: شرح أدب القاضي، لأبي يوسف، الفوائد الفقهية، وكشف الغوامض في فروع الفقه. انظر: كشف الظنون (46)، وهدية العارفين (47/2).

(5) ويدعم هذا القول أيضا كلام ابن كثير في تفسيره، قال: وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآيات قد نزلت في أبي بن خلف أو العاص بن وائل أو فيهما، فهي عامة في كل من أنكر البعث، والألف واللام في قوله تعالى: {أولم ير الإنسان} للجنس يعم كل منكر للبعث. انظر: تفسير ابن كثير (529/6).

(6) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، الحافظ المؤرخ الفقيه، ولد سنة:701هـ، له تصانيف عدة أشهرها تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، وغيرهما، توفي سنة 774هـ. انظر: الدرر الكامنة (373/1).

(7) انظر: تفسير ابن كثير (358/6).

(8) انظر: تفسير البيضاوي (143/3).

(9) انظر: تفسير الماوردي /النكت والعيون (37/5)، وتفسير الألوسي (66/12).

(10) انظر: مجموعة العبد الذليل على أنوار التنزيل، ص (237)، وذكر ذلك ابن التمجيد في حاشيته على البيضاوي (217/16).

8- في قوله تعالى: {فأَتْبعهُ شِهابٌ ثاقبٌ}[الصافات:10]، تعرض البيضاوي لمذهب الفلاسفة عند تفسيره لهذه الآية، بقولهم عن الكوكب أنه بخار يصعد إلى الأثير، فيشتعل، فقال البيضاوي: "إن صح، فلا ينافي مفهوم الآية القرآنية"[1]، فأنكر عليه ابن التمجيد[2] بقوله: "كان الأولى للمصنف أن لا يتعرض لتطبيق قول الفلاسفة الزائغين عن أصول الدين، وقواعد الشرع، بل عليه أن يبطل مذهبهم بأدنى إشارة من كلام الله، وكلام رسوله-صلى الله عليه وسلم-"[3]، كذلك استفهم القونوي[4] مستنكرا على البيضاوي عن الباعث له في حمل كلام الله –تعالى-على اصطلاح الحكماء، الذين هم في كل واد يهمون، وأنهم يقولون ما لا يفهمون[5].

لكن الشيخ محمد كامل-رحمه الله- رد على اتهامهما، قائلا: "على فرض تسليمه بقول الفلاسفة، فهو لا يخالف القرآن، ولا يعارضه، فلا وجه للطعن به فيه، فما أحسن ما صنعه المؤلف -رحمه الله تعالى-وما أنفعه"[6]. قال الباحث: والحاصل أن وجه الاعتراض من ابن التمجيد والقونوي على القاضي البيضاوي-رحمه الله- من ذكره فرضية قررها الفلاسفة الملاحدة، فيه تسرع بالحكم، لأن البيضاوي –رحمه الله – كذلك يعترض على هذه النظرية، بدليل قوله: (تخمين إن صح)، وهي إشارة إلى عدم صحته، لكن ومع هذا فالشيخ محمد كامل-رحمه الله- لم يعجبه اعتراض صاحبي الحاشيتين، وعلل ذلك من أنه من شأن البيضاوي في كتابه، أن يذكر كلام الطاعنين من الملاحدة والكافرين، ثم يدفعه، ويبطله بالدليل والبرهان .

9- في قوله تعالى: {إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ}[الصافات:10]، وفيه أن البيضاوي يعتمد على كلام الرازي[7] في أن الشياطين لها ذكاء خارق، فكيف يجعلها تخاطر بنفسها، وتصعد إلى السماء في كل مرة لتسترق السمع، وأنها تعلم أنها ستقذف بشهاب، فهذا مناف لذكائها، وما جبلت عليه، وهو يجعلها أن لا تفكر بالصعود، فبنى الرازي فعلها في الآية على التجربة، وهو أنهم يصعدون إلى السماء لاسترق السمع، فتقذفهم الملائكة، وربما يصعدون إلى السماء مرة أخرى، فلا يصادف صعودهم إلى السماء ملائكة، فينجون،

---

(1) انظر: تفسير البيضاوي (144/3).

(2) إسماعيل بن التمجيد الرومي، كان معلما للسلطان محمد خان، وكان رجلا صالحا، صنف حاشية على تفسير البيضاوي وله نظم عربي وفارسي، وكانت وفاته في المائة الثامنة. انظر: الطبقات السنية في تراجم الحنفية (211/2)، وانظر طبقات المفسرين للأدنه وي (305).

(3) انظر: حاشية ابن التمجيد على البيضاوي (227/16).

(4) إسماعيل بن محمد بن مصطفى القونوي، الحنفي عصام الدين، أبو الفداء مفسر، ومشارك في بعض العلوم. ولد بقونية، وتوفي بدمشق سنة: 1195هـ، من تصانيفه: حاشية على تفسير البيضاوي، وحاشية على المقدمات الأربع لصدر الشريعة، وغيرها من المصنفات. انظر: معجم المؤلفين (294/2).

(5) انظر: حاشية القونوي على البيضاوي (228/16).

(6) انظر: مجموعة العبد الذليل على أنوار التنزيل، ص (249-250).

(7) أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي البكري الرازي، ويعرف بابن الخطيب، وبابن خطيب الري، ولد سنة: 544 هـ، من أئمة الأشاعرة، وأحد الفقهاء الشافعية المشاهير، كان فريد عصره ومتكلم زمانه، له تصانيف كثيرة زادت عن المائتي مصنف، منها تفسيره الكبير، المسمى بـ مفاتيح الغيب، توفي سنة: 606 هـ انظر: شذرات الذهب (21/3)، وطبقات الشافعية للسبكي (81/8).

ولذلك صعودهم في كل مرة من باب التجربة، وهذه الواقعة إنما تحصل مع الندرة، وهذا تفسيره للآية الكريمة[1].

بينما يرى العلامة محمد كامل أن هذا التفسير المبني على التجربة مناف لحقيقة صعودهم المقرر في الآية، فالآية تقرر صعودهم في كل مرة، فهم يصعدون، ويُقْذَفُون، فلا وجهة للتجربة هنا، فقال الشيخ محمد كامل-رحمه الله-: "وعلى تسليم هذه الكلية بنى الرازي إشكاله المذكور، ولك أن تمنع تلك الكلية بدعوى أنهم قد يصلون إلى مقصودهم، ويدل عليه قوله تعالى: {إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ}".[2]

10- في قوله تعالى: {وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ}[الصافات:13]، يذكر العلامة محمد كامل-رحمه الله- تفسير البيضاوي لهذه الآية، فيقول: "وإذا وعظوا بشيء لا يتعظون به، وإذا ذكر لهم ما يدل على صحة الحشر لا ينتفعون به"[3]، ويذكر في ذلك نسختين للبيضاوي، بالعطف بـ (و)، كالتفسير السابق، وبحرف العطف (أو)، أي: (لا يتعظون به، أو إذا ذكر لهم ...)، ثم يعلق الشيخ محمد كامل –رحمه الله-على النسختين تعليق تنبيه وتوضيح، بأن نسخة العطف تخصيص بعد تعميم، ولو لم يكن التخصيص هو مقتضى الكلام، لكان التعميم أبلغ وأوفى، وعليه يكون المعنى: أي: إذا ذكر لهم ما يدل على الحق لا سيما الحشر لا ينتفعون به، وأما تعليقه عن النسخة الثانية التي هي بحرف العطف (أو)، فقال: هي للتخيير بين شيئين. اه[4]"، وفي هذا التعليق الذي أطراه الشيخ، ونبه عنه زيادة معنى على ما ذكره البيضاوي.

11-في قوله تعالى: {ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ}[الصافات:68]، فسر البيضاوي-رحمه الله- الآية بتفسيرين، فقال: (إلى دركاتها، أو نفسها)[5] ، فالأول من التفسيرين: أن أهل النار يأكلون من شجرة الزقوم، ويشربون من الحميم، وهم داخل الجحيم، وأن المقصود من الرجوع في الآية، رجوعهم من دركات في الجحيم إلى دركات أخرى في الجحيم، وأما الثاني: أن الأكل من الزقوم، والشرب من الحميم، يكونان قبل دخولهم الجحيم يقدمان إليهم كالنزل، أي قبل دخولهم الجحيم، ثم يدخلون الجحيم.

وقد استبعد القونوي[6] التفسير الثاني، فقال: "إنه لا يلائم ما سبق من قوله تعالى: {فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ}[الصافات:55] إلى قوله: {أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلاً أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ}[الصافات:62]"[7] ، وعلى رأي القونوي سار أيضا الشيخ محمد كامل-رحمه الله- معترضا على البيضاوي بقوله: "وعلى هذا التأويل يكون المرجع في الآية بمعنى الدخول، وهو خلاف الظاهر"[8].

---

(1) انظر: تفسير الرازي (319/26).
(2) انظر: مجموعة العبد الذليل على أنوار التنزيل، ص (252).
(3) انظر: تفسير البيضاوي (145/3).
(4) انظر: مجموعة العبد الذليل على أنوار التنزيل، ص (263) بتصرف.
(5) انظر: تفسير البيضاوي (144/3).
(6) انظر ترجمته صفحة (16) من هذا البحث.
(7) انظر: حاشية القونوي على البيضاوي (272/16).
(8) انظر: مجموعة العبد الذليل على أنوار التنزيل، ص (314).

12- في قوله تعالى: {مَاذَا تَعْبُدُونَ}[الصافات:85]، أتى العلامة محمد كامل-رحمه الله- بإعراب أصحاب الحواشي حول هذه الآية، فقال: (ما) استفهامية، أي: أي شيء تعبدون، ونسبه للشيخ زاده[1]، وجاء بوجه آخر، فقال: ما الذي تعبدون، ونسبه لصاحب الجلالين[2]، ولكنه لم يكتف بذلك، بل فصّل الإعرابين ببراعته اللغوية، وفطانته النحوية، فقال - رحمه الله-: "الأول: على أن (مَاذا) اسم استفهام، وهو مفعول مقدم لـ {تَعْبُدُونَ}، والثاني: على أن (مَا) استفهامية في محل مبتدأ، و(ذَا) اسم موصول، وهو مع صلته خبر لـ (ما)".[3]

13-في قوله تعالى: {إِذْ قالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ}[الصافات:85]، يقول القاضي البيضاوي-رحمه الله-هي(بدلٌ من الأولى)[4] ، يقصد أنها بدل من قوله تعالى: {إِذْ جاءَ رَبَّهُ}[الصافات:84][5] ، لكن العلامة محمد كامل-رحمه الله- استبعد ذلك، فقال: "لكن المبدل منه ليس في حكم المطروح"[6]، بمعنى أن البدل يحل محل المبدل منه القابل للطرح والحذف والمستغني عنه، لكن الجملة الأولى التي في الآية الكريمة لا يستغنى عنها، ولا هي قابلة للطرح والحذف.

14-في قوله تعالى: {قالَ يا بُنَيَّ إِنِّي أَرى فِي الْمَنامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ}[الصافات:102]، قال القاضي البيضاوي- رحمه الله-"لعل الأمر به في المنام دون اليقظة؛ لتكون مبادرتهما إلى الامتثال أدل على كمال الانقياد والإخلاص"[7]، ورد ذلك ابن التمجيد[8] في حاشيته عليه، واستبعد أن تكون الرؤيا أدل على كمال الانقياد لدى الأنبياء، باعتبار أن الرؤيا ربما يتخللها توهم، أو تختلط بها الأضغاث، بخلاف ما يؤمر به الأنبياء في اليقظة من وحي اه[9].

---

(1) محيي الدين محمد بن مصلح الدين مصطفى بن محسن الدين، الشهير بشيخ زاده، فقيه حنفي، مفسّر، توفي بقسطنطينية سنة:951هـ، وله تسعون سنة، درّس بالقسطنطينية، ثم آثر العزلة. له تصانيف كثيرة أبرزها حاشية على «أنوار التنزيل» للبيضاوي. انظر: معجم المؤلفين (721/3)، والأعلام (99/7).

(2) محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي، تفتازانيّ العرب، ولد سنة: 791هـ، الفقيه المفسر الأصولي النحوي، كان في غاية الذكاء والفهم، وعلى صلاح وورع، آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر، عرض عليه القضاء فامتنع، له تصانيف كثيرة منها تفسير موجز لم يكمله، أكمله تلميذه السيوطي بعد وفاته يعرف بتفسير الجلالين، توفي سنة:864هـ. انظر: شذرات الذهب (303/7-304).

(3) انظر: مجموعة العبد الذليل على أنوار التنزيل، ص (326) بتصرف.

(4) انظر: تفسير البيضاوي (152/3).

(5) ما رأه البيضاوي من أن الظرف الثاني {إذ قال} هو بدل من الظرف الأول {إذ جاء} قال به بعض العلماء، منهم الهمذاني في كتابه: الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد (387/5)، وأبو البقاء العكبري في التبيان في إعراب القرآن: (1091/2).

(6) انظر: مجموعة العبد الذليل على أنوار التنزيل، ص(326).

(7) انظر: تفسير البيضاوي (155/3).

(8) مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم المعروف بابن التمجيد، المتوفى سنة: 886هـ، عالم مفسر، كان معلما للسلطان محمَّد الفاتح، له حاشية على تفسير البيضاوي. انظر: الأعلام للزركلي (228/7).

(9) انظر: حاشية ابن التمجيد الملحقة بحاشية القونوي على أنوار التنزيل (299/16)، وانظر: مجموعة العبد الذليل على أنوار التنزيل، ص (357) بتصرف.

لكن العلامة محمد كامل-رحمه الله-لا يرى في كلام ابن التمجيد دقة، معللا ذلك بأن رؤيا الأنبياء حقٌ، ولا يتطرق إليها توهم، ولا تحتمل أن تكون من قبيل أضغاث الأحلام[1]. كما أن العلامة محمد كامل-رحمه الله-في هذا الموضع ذكر كلام الزمخشري الذي يرى "أن ما حدث مع الخليل إبراهيم عليه السلام، حصل مع غيره من الأنبياء -عليهم السلام-، كالنبي يوسف -عليه السلام-، عندما رأى في المنام سجود الكواكب والشمس والقمر له، ورؤيا نبينا ورسولنا محمد -صلى الله عليه وسلم-في دخول المسجد الحرام، وعلل ذلك بأنه من قبيل تقوية الدلالة على كونهم صادقين، ثم قال: حال الوحي إما يقظة أو مناما، فإذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك أقوى للدلالة على انفراد أحدهما"[2] اهـ وكأنه يشير إلى أن انفراد الوحي بالرؤيا ليس بالقوي، وهذا ما خالفه فيه البيضاوي، كما أشار إلى ذلك محمد كامل موافقا للبيضاوي، بقوله: "وهذا غير جواب المصنف -رحمه الله-كما لا يخفى" اهـ[3]

15- في قوله تعالى: {وَما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ}[الصافات:164]، قال البيضاوي -رحمه الله- "حذف الموصوف، وأقيمت الصفة مقامه"[4]، والتقدير إذن: ما أحد منا إلا له مقام معلوم، على أن (أحد) مبتدأ، {إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ} صفة لـ (أحد)، و{منَّا} خبر مقدم للمبتدأ المحذوف، لكن العلامة محمد كامل -رحمه الله- لم يسلم لهذا الإعراب، فساق كلام صاحب حاشية زادة، وحاشية القونوي، تصحيحا لما قاله البيضاوي[5]، ووجه الإنكار أن قوله تعالى: {إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ} ليس صفة للمبتدأ المحذوف (أحد)، كذلك {منّا} لا تصح خبرا للمبتدأ المحذوف؛ لأن أداة الاستثناء (إلاّ) وما بعدها لا تكون صفة إذا كان موصوفها محذوفا، وهذا ما عليه أغلب النحاة[6]، كما نص على ذلك أبو حيان[7] في البحر المحيط، قال: "وليس هذا من حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه؛ لأن (أحدا) المحذوف مبتدأ، و{إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ} خبره، ولأنه لا ينعقد كلام من قوله: وما منا أحد، فقوله: {إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ} هو محط الفائدة، وإن تُخُيِّل أن {إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ} في موضع الصفة، فقد نصوا على أن (إلاّ) لا تكون صفة إذا حذف موصوفها"[8]

ختـامـا:

وبعد البحث والتنقيب، والاستقراء في (مجموعة العبد الذليل على ربع أنوار التنزيل) للإمام محمد كامل ابن مصطفى-رحمه الله-لاستخراج ترجيحاته واجتهاداته منها، والتي

(1) انظر: مجموعة العبد الذليل على أنوار التنزيل، ص (357) بتصرف.
(2) انظر: تفسير الكشاف (54/4)، وانظر: مجموعة العبد الذليل على أنوار التنزيل، ص (357).
(3) المصدر السابق.
(4) انظر: تفسير البيضاوي (162/3).
(5) انظر: مجموعة العبد الذليل على أنوار التنزيل، ص (436).
(6) انظر: شرح كتاب سيبويه للرماني (252)
(7) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حَيَّان الغرناطي الأندلسي الجياني، النِّفْزي، أثير الدين، أبو حيان: من كبار العلماء بالعربية والتفسير والحديث والتراجم واللغات. ولد في غرناطة سنة: 654هـ، ورحل إلى مالقة. وتنقل إلى أن أقام بالقاهرة. وتوفي فيها سنة: 745هـ، بعد أن كف بصره. له مصنفات عديدة وكثيرة أشهرها: (تفسير البحر المحيط). انظر: الدرر الكامنة (58/6).
(8) انظر: تفسير البحر المحيط (130/9).

كانت من بدايةً سورة يس، وإلى نهاية سورة الصافات، اجتمع لي منها نحوا من خمسة عشر اجتهادا خاصا للعلامة محمد كامل بن مصطفى -رحمه الله-تعقب بهن الإمام البيضاوي، وهي ما بين موافقات ومفارقات، وغيرها من الاجتهادات.

ويمكن القول إن هذه التعليقات من أجود النقول، وأقوى الأمثلة من حيث الالتزام بالأمانة العلمية، فالشيخ محمد كامل بن مصطفى-رحمه الله-كان يختار الأقوال المناسبة والدقيقة التي تعين على شرح وإيضاح عبارة البيضاوي، ينقلها نقلا حرفيا على أغلب الأحوال، ويشير إلى أصحابها من العلماء الأجلاء، وقل وندر أن يتصرف فيها بزيادة أو نقصان، أو تغيير أو تبديل.

كما أن المؤلف -رحمه الله-امتاز في تعليقاته على تفسير البيضاوي بقدرة عالية في ربط أقوال العلماء، ومزجها ببعض عند التعليق على تفسير البيضاوي، وشرح مفرداته، بحيث إنك لو تمعنت فيها دون النظر والرجوع إلى مصادرها، لظننتها أنها من كلامه وأقواله -رحمه الله-، دلالة على دقته في الربط بين الأقوال حول المسألة الواحدة، والتفنن في استخراج ما تحتاجه عبارة البيضاوي، والعجيب في الأمر أنه ربما يقوم بالتصرف في المنقول دون أن يشعرك أنه حذف منه بعض الأمور، أو زاد عليه شيئا.

وربما لم أنقل من اجتهاداته حول تفسير البيضاوي إلا اليسير، أو هذا ما وقعت عليه عيناي، وأصابه قلمي، لكن مع قلتها، فإنها تعطينا الصورة الحقيقة لهذا العلامة المدقق المحقق؛ لأنه في كل ما نقلته عنه من اجتهادات، تراه كيف يقتحم أسوار الكبار من العلماء بالنقد والتصحيح والرد العلمي، كرده على الفخر الرازي والزمخشري والبيضاوي والسيوطي، وابن التمجيد والقونوي والشيخ زادة، وإن دلَّ ذلك على شيء، فإنما يدل على رجاحة عقله، وقوة فكره، وغزارة علمه ومعرفته.

كما أن لهذه القلة من الاجتهادات صورة أخرى، وهي صورة العالم المتواضع الذي مع ما عنده من علوم ومعارف، وقدرته الفذة على شرح وإيضاح كلام القاضي البيضاوي، إلا أنه يكتفي دائما بنقل أقوال العلماء، وصرفها لخدمة هذا التفسير الجليل.

ومن جليل هذا القليل من الاجتهادات أيضا أنك تراها متنوعة في كل الفنون الشرعية والعربية، ففيها النقد اللغوي، والنقد النحوي، والنقد البلاغي، والنقد العروضي، والنقد الفقهي، والنقد الأصولي، والنقد العقدي، وذلك يشير إلى سعة علم هذا العلم الهمام، والعالم الجليل محمد كامل بن مصطفى-رحمه الله-، وإحاطته بكثير من العلوم العربية والشرعية، فضلا عن اطلاعه الواسع حول تراجم الرجال وأخبارهم.

فهذه من أهم النتائج التي استبانت للباحث من خلال بحثه، وأرى بعد ختامي لهذه النتائج أن أذكر بعض التوصيات، يقدمها الباحث رجاء أن ينفع الله بها العاملين بها في مجال البحث والدراسة، لا سيما في التفسير وعلوم القرآن.

توصيات:

لا تزال المخطوطات الليبية مجالا خصبا للتحقيق والدراسات العلمية، فينبغي التوجيه إليها، والتنقيب عن جهود العلماء الليبيين القدامى، وحتى المعاصرين، وإفرادهم في بحوث مستقلة، والتعريف بدورهم في إثراء المكتبة الإسلامية، كما يرى الباحث أن مراكز البحوث والدراسات الإسلامية، والجامعات الإسلامية في ليبيا يمكن أن تؤدي دورا بارزا في مساندة

تلك الدراسات؛ وذلك بدفع الباحثين لديها، وطلاب الدراسات العليا، وتشجيعهم على مثل هذه البحوث، واعتمادها في الخطط السنوية البحثية والدراسية.

كما يوصي الباحث أيضا بإيجاد كتيب أو دليل يحتوي على كل أسماء العلماء الليبيين ومصنفاتهم القديمة والعصرية؛ لتكون سهلة المنال، وهدفا للدراسة والبحث.

كذلك ومن خلال ما رأيت من براعة الشيخ محمد كامل في التعامل مع النص البيضاوي، وكيف أنه يختار النص الصحيح من أقوال العلماء والمفسرين لمناقشة، أو لتفسير ما يقول القاضي البيضاوي، أُوصي الكليات، وأقسام الدراسات الإسلامية في الجامعات، وغيرها من المراكز البحثية، تأسيا بالشيخ محمد كامل، بإعداد مشروعات علمية يشترك فيها الأساتذة والطلاب تهتم بجمع أقوال المفسرين الصحيحة، والمجمع عليها، وجعلها في خدمة النص القرآني.

وصية عامة: وفي الختام يجدر بنا في هذا الوقت، والناس تتجه في مهاوي الضلال والغفلة، أن نوقد شعلة الدعوة إلى طلب العلم الشرعي من مصادره الصحيحة، والحرص عليه؛ ليستنير درب الإنسان من جديد، فلا أجل ولا أفضل من طلب العلم، ومدارسته، والسعي وراءه، فقد رأينا من خلال دراسة سيرة الشيخ محمد كامل بن مصطفى-رحمه الله- كيف رأت عائلته الحاجة الماسة للعلوم الشرعية والعربية، والحاجة إلى طلب العلم؛ لأنه الطريق الوحيد الذي تكون النهاية فيه سعادة حتمية؛ لهذا دفعوا بابنهم لطلب العلم طفلا صغيرا، فسلك هذا الطريق حتى صار علما شهيرا، والشيخ نموذجا واحدا من مئات؛ بل من آلاف العلماء الذين بدأوا حياتهم العلمية صغارا، حتى صاروا أعلاما، وإني لأجد الحاجة إلى تعلمه اليوم أشد من حاجته في أي وقت مضى، بسبب ما يحدث اليوم من تغيرات في المجتمعات الإسلامية، وهجومات فكرية، وتطورات تكنلوجية، غزت كل البيوت، حتى أصبح الصغير قبل الكبير يمتلك وسائل التخريب العقلي، والانحراف الأخلاقي والديني، والتي من شأنها يستغنى الجاهل بها عن ربه وخالقه، ويكون لقمة في فم الشيطان، فلابد من العودة من جديد، والحث على طلب العلم الشرعي، والتشجيع عليه.

وإني أسأل الله العظيم أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن يعفو عما زل به القلم، وأن يوفقنا لخدمة كتابه، وسنة نبيه -صلى الله عليه وسلم-وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادروالمراجع

*** القــرآن الكريـم.**

1-الإتقان في علوم القرآن: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب-الطبعة: 1394 هـ/ 1974 م.

2-الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى -1415هـ

2-أعلام ليبيا لـ طاهر أحمد الزاوي، دار المدار الإسلامي -الطبعة الثالثة-2004م.

3-أعلام من طرابلس لـ علي مصطفى المصراتي-دار الجماهيرية للنشر والتوزيع مصراته-الطبعة الرابعة-1986م.

4-الأعلام، لـ خير الدين الزركلي -الطبعة السادسة. بيروت: دار العلم للملايين، 1984م.

5-أعيان ليبيا، لـ علي الفقيه حسن.
6-الانتصاف من الكشاف، لأحمد المعروف بابن المنير الإسكندري، حاشية مطبوعة مع كتاب: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – لـ محمود الزمخشري-ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفى حسين أحمد-دار النشر: دار الريان للتراث بالقاهرة -دار الكتاب العربي ببيروت-الطبعة: الثالثة 1407 هـ
7-البداية والنهاية في التاريخ، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان-الطبعة: الأولى-1420 هـ، بيروت.
8-بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة-لـ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم -الناشر: المكتبة العصرية -لبنان / صيدا.
9-تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، لـ عبد الرحمن بن حسن الجبرتي المؤرخ -الناشر: دار الجيل بيروت.
10-التبيان في إعراب القرآن-لأبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري-المحقق: علي محمد البجاوي – دار النشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.
11-تذكرة الحفاظ: الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان. دار النشر: دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان-الطبعة: الأولى، 1419 هـ-1998 م.
12-تفسير الماوردي -النكت والعيون-لـ أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي-تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم-دار النشر: دار الكتب العلمية -بيروت -لبنان.
13-تفسير أبي السعود-إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم-لـ أبي السعود محمد بن محمد العمادي-دار النشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت– لبنان.
14-تفسير البيضاوي-أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للقاضي ناصر الدين أبي سعيد البيضاوي-تحقيق: محمد صبحي بن حسن حلاق، ومحمود أحمد الأطرش.
15-تفسير البحر المحيط، لـ أبي حيان، محمد بن يوسف الأندلسي الغرناطي، الطبعة الثانية. بيروت: دار الفكر، بعناية: صدقي محمد جميل العطار (جـ 1 و10)-زهير جعيد (جـ 2 إلى 7)-عرفان العشا حسّونة (جـ 8 إلى 10): 1420 هـ -2000م.
16-تفسير ابن عاشور-التحرير والتنوير، لـ محمد الطاهر بن عاشور-تونس: الدار التونسية للنشر –الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984م.
17-تفسير روح البيان: لـ البرسوي، إسماعيل حقي-دار النشر: دار الفكر – بيروت.
18-تفسير القرآن العظيم: لابن كثير، إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي. دار النشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض – السعودية-الطبعة: الثانية، 1420هـ-1999 م.
19-تفسير النسفي-مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي-حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي-راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو – دار النشر: دار الكلم الطيب، بيروت-الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م.
20-تفسير الطبري-جامع البيان في تفسير القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير-دار النشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان-القاهرة، مصر-الطبعة: الأولى، 1422هـ-2001م.

21-تفسير القرطبي-الجامع لأحكام القرآن، أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري-تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش-دار النشر: دار الكتب المصرية –القاهرة-الطبعة: الثانية، 1384 هـ -1964م.
22-تفسير البغوي-معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء-تحقيق: عبد الرزاق المهدي-دار النشر: دار إحياء التراث العربي–بيروت-الطبعة: الأولى، 1420هـ
23-تفسير الآلوسي-روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي-ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية-دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت-الطبعة: الأولى، 1415 هـ-1994 م.
24-تفسير الرازي-مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، للفخر الرازي، أبي عبد الله محمد بن عمر ابن حسين. الطبعة الثالثة-نشر: دار إحياء التراث العربي-بيروت-الطبعة: الثالثة-1420هـ
25-تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل – لـ محمود الزمخشري -ضبطه وصححه ورتّبه: مصطفى حسين أحمد-دار النشر: دار الريان للتراث بالقاهرة -دار الكتاب العربي ببيروت-الطبعة: الثالثة 1407هـ
26-التفسير والمفسرون أساسياته واتجاهاته ومناهجه في العصر الحديث، الأستاذ الدكتور فضل حسن عبَّاس-الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن-الطبعة: الأولى، 1437هـ-2016م.
27-تعليقات على أنوار التنزيل، الشيخ محمد كامل بن مصطفى، تحقيق عبد الدائم محمد الباجقيني، طرابلس-منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي-الطبعة الأولى-1991م.
28-تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لـ جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي -حققه وضبط نصه وعلق عليه: بشار عواد معروف-دار النشر: مؤسسة الرسالة –بيروت-الطبعة: الأولى، 1400 هـ.
29-الجواهر الإكليلة في علماء ليبيا من المالكية، لناصر الدين محمد الشريف-الطبعة الأولى-دار النشر: دار البيارق-1420هـ.
30-دليل المؤلفين العرب الليبيين، نشر: دار الكتب-1397هـ-طرابلس.
31-حاشية محي الدين الشيخ زاده على تفسير البيضاوي، ضبطه: محمد عبد القادر شاهين-دار الكتب العلمية-بيروت. الطبعة الأولى– 1419هـ.
31-حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، لعصام الدين إسماعيل بن محمد الحنفي، ضبطها: عبد الله محمود محمد عمر-دار نشر: دار الكتب العلمية-بيروت-الطبعة الأولى: 1422هـ.
32-حاشية ابن التمجيد على تفسير البيضاوي، لـ مصلح الدين مصطفى بن إبراهيم الرومي الحنفي، وهي ملحقة بـ (حاشية القونوي) ضبطها: عبد الله محمود محمد عمر-دار نشر: دار الكتب العلمية-بيروت-الطبعة الأولى: 1422هـ.
33-الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لشهاب الدين، أبي الفضل، أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن أحمد الشهير بابن حجر العسقلاني-دار النشر: دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن –الهند.

34-رحلة الحشائي إلى ليبيا، لـ محمد بن عثمان الحشائشي، تحقيق: علي مصطفى المصراتي-الطبعة الأولى-دار لبنان-بيروت 1965م.
35-سكان ليبيا، لـ هنريكو دي أغسطيني، ترجمة خليفة محمد التليسي، نشر: الدار العربية للكتاب.
36-سير أعلام النبلاء، لشمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي -خرج أحاديثه واعتنى به: محمد أيمن الشبراوي-الناشر: دار الحديث، القاهرة – مصر-1427هـ-2006م.
37-شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، ومحمود الأرناؤوط-دار ابن كثير-الطبعة الأولى-1413هـ.
38-شرح كتاب سيبويه، لأبي الحسن علي بن عيسى الرماني -أطروحة دكتوراه لـ: سيف بن عبد الرحمن بن ناصر العريفي، نشر: جامعة: الإمام محمد بن سعود الإسلامية -الرياض-المملكة العربية السعودية-عام: 1418هـ-1998م.
39-صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا،نشر: دار ابن كثير-دار اليمامة –دمشق-الطبعة: الخامسة-1414 هـ-1993م.
40-طبقات المفسرين، لشمس الدين محمد بن علي الداوودي-الناشر: دار الكتب العلمية-بيروت.
41-طبقات المفسرين، لجلال الدين السيوطي-تحقيق: علي محمد عمر-مكتبة وهبة-الطبعة الأولى-1396هـ.
42-طبقات المفسرين للأدنه وي، لأحمد بن محمد الأدنه وي-المحقق: سليمان بن صالح الخزي-نشر: مكتبة العلوم والحكم –السعودية-الطبعة: الأولى، 1417هـ-1997م
43-طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي-تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، و د. عبد الفتاح محمد الحلو-نشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية-1413هـ.
44-الطبقات السنية في تراجم الحنفية، للمولى تقي الدين بن عبد القادر التميمي الداري الغزي المصري الحنفي-تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو -نشر: دار الرفاعي -الرياض، السعودية-الطبعة: الطبعة: الأولى: 1403هـ.
45-العبر في خبر من غبر، لشمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي-ويليه: (ذيل العبر) للذهبي نفسه، ثم (ذيل الحسيني) عليه، تحقيق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول-الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.
46-الفتاوى الكاملية في الحوادث الطرابلسية على مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، للعلامة محمد كامل بن مصطفى -لا يوجد اسم لدار النشر، ولا سنة الطبع.
47-الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، للمنتجب الهمذاني-تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح-نشر: دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة -المملكة العربية السعودية-الطبعة: الأولى-1427 هـ-2006م.
48-كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: لمصطفى بن عبد الله حاجي خليفة. طبع في إسطنبول 1360هـ-عني بتصحيحه وطبعه وتعليق حواشيه: محمد شرف الدين يالتقايا-طبع بعناية: وكالة المعارف بإسطنبول-1941م.
49-كناش الشيخ محمد كامل ابن مصطفى، أو (المجموع) -مخطوط.

50-لسان العرب، لـ محمد بن مكرم بن على، أبي الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقي، ومعه الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين-نشر: دار صادر –بيروت-الطبعة: الثالثة -1414هـ
51-محمد كامل بن مصطفى وأثره في الحياة الفكرية في ليبيا -الدكتور محمد مسعود جبران-طرابلس-منشورات جمعية الدعوة الإسلامية-الطبعة الثالثة-دار الكتب الوطنية -2009م.
52-معجم المؤلفين، لـ عمر رضا كحالة-نشر: مكتبة المثنى -بيروت، دار إحياء التراث العربي-بيروت.
53-مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة ما يعتبر من حوادث الزمان، لأبي محمد عفيف الدين عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي-مع حاشية: لخليل المنصور-الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان-الطبعة: الأولى، 1417 هـ -1997م.
54-النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ليوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، جمال الدين-النشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي-دار الكتب-مصر.
55-نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، لأحمد بن الحسين النائب الأنصاري-تقديم: محمد زينهم محمد – منشورات: دار الفرجاني للنشر والتوزيع.
56-هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا البغدادي-مصورة عن طبعة وكالة المعارف التركية-نشر مكتبة المثنى-بيروت-1955م.
57-وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان-تحقيق: إحسان عباس-نشر: دار صادر –بيروت.
58-هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا بن محمد أمين -طبع بعناية: وكالة المعارف بإسطنبول، 1951م.